دراسات عربية

مجلة فكريّة اقتصاديّة اجتماعيّة

في هذا العدد :

العدد : ١١ السنة الرابعة عشرة . أيلول . سبتمبر ١٩٧٨

هنري كيسنجر والردع (الحروب المحدودة)

امين هويدي

يقوم الاستناذ امين هويدي ببحوث عن الامن وكيفية ادارة الصراع الدولي . ويركز في دراساته على هنري كيسنجر وافكاره الاكاديمية التي صعدته الى قمة السلطة في الولايات المتحدة وكيفية تطبيقه لهذه الافكار عندما اصبح المسؤول الاول عن ادارة السياسة الامريكية الخارجية في فترة من اخطر الفترات التي مرت بالعالم .

من ضمن هذه الموضوعات موضوع الحرب المحدودة وهي النظرية السائدة حاليا في ادارة الصراع العالمي بعد ان اصبحت المواجهة الذرية الشاملة من المستحيلات .

وخطورة هذا الموضوع في علاقته المباشرة بما يحدث في منطقتنا .

دراسات عربية

أساس المشكلة

ليس من المنطقي ان نقتحم هذا الموضوع المعقد بالتحدث مباشرة عن افكار هنري كيسنجر في اهم موضوع من موضوعات الصراع العالمي وهو موضوع «الردع» . فان نحن فعلنا ذلك نكون قد تخطينا كثيرا من الحقائق والافكار التي كانت تتصارع في ذلك الوقت وكلها تدور حول هذا الموضوع الهام ، وبذلك نعطي الاحساس بأن افكاره تلك قد نبتت من فراغ ، الامر الذي يخالف الحقيقة والواقع .

فلم يكن كيسنجر (١) اول من تحدث عن «الردع» ولا اول من فكر فيه . بل كانت كل جهات البحث في العالم تجعل منه شغلها الشاغل . ففي الولايات المتحدة اهتمت به اغلب مراكز البحث : مثل مؤسسة راند ومركز الدراسات الدولية بجامعة برنستون ومجلس العلاقات الخارجية بتمويل من مؤسسة روكفلر والبنتاجون بموارده الضخمة غير المحدودة . وفي فرنسا كان الموضوع مثار اهتمام المعهد الفرنسي للدراسات الاستراتيجية . كما اهتم بدراسته المعهد البريطاني للدراسات الاستراتيجية في لندن . ولم تكن جهات البحث في الكتلة الشرقية خاصة الاتحاد السوفييتي اقل اهتماما بمثيلتها في الكتلة الغربية لبحث هذا الموضوع .

كما كان الخبراء العسكريون والمدنيون على حد سواء يدلون بدلوهم في الابحاث الدائرة للكشف عن طبيعة الثورة التي حدثت في اسس ادارة الصراع العالمي نتيجة لاختراع السلاح الاعظم وهو القنبلة الذرية مثل : الجنرال ماكسويل تايلور (٢) والجنرال جيمس جافن (٣) والجنرال اندريه بوفر (٤) والمارشال سوكولوفسكي (٥) وهيرمان كاهن (٦) وكلاوس نور (٧) وفردينان اوتومكيشة (٨)، وغيرهم كثيرون .

كما ان تقييم افكار هنري كيسنجر ــ دون وضعها في المناخ الفكري الذي برزت فيه ودون اعطاء فكرة ولو عامة عن طبيعة الافكار التي سادت في اواخر الخمسينات ، واوائل الستينات ــ يكون عملا ناقصا من الناحية العلمية . لذا فلا بد ان نحاول معا العيش في هذا المناخ الفكري قبل ان نعالج افكار هنري كيسنجر وهو بيت القصيد .

فحينما اطلقت القنبلتان الذريتان على ناجازاكي وهيروشيما في اليابان في اواخر الحرب العالمية الثانية لم يكن هناك اي مشكلة . صحيح كان هناك آلاف

---

(١) في كتابه « ضرورة الاختيار » The Necessity for Choice
« والحرب الذرية والسياسة الخارجية » و« عالم اعيد بناؤه »
Nuclear Weapons and Foreign Policy , A world Restored
(٢) في كتابه « الاستراتيجية غير المستقرة »
(٣) في كتابه « الحرب والسلام في عصر الفضاء »
(٤) في كتابه « الردع والاستراتيجية »
(٥) في كتابه « حول الاستراتيجية العسكرية السوفييتية »
(٦) في كتابه « في الحرب النووية »
(٧) في كتابه حول استخدامات القوة العسكرية في العصر النووي ــ ترجمة مصلحة الاستعلامات .
(٨) في كتابه « فشل الاستراتيجية الذرية »

الضحايا وصحيح اصيب آلاف غيرهم بأمراض لم تعرفها البشرية من قبل . وصحيح ان مدينتين دمرتا تدميرا شاملا . ولكن لم يسبب كل ذلك مشكلة مادية او اخلاقية في الصراع الذي كانت الدول العظمى تشترك فيه . فالمهم ان الانتصار تحقق . واصبحت الولايات المتحدة سيدة العالم دون منازع بعد ان حققت « الامن المطلق » الذي كانت تسعى اليه .

ولم يكن امامها اي مشكلة في استخدام هذا السلاح الاعظم اذا اضطرتها الظروف الى ذلك . فلم تكن تخشى «عقابا» مماثلا فلا احد غيرها يمتلك ما تمتلكه من قوة تدميرية جعلت كلمتها امرا ومشيئتها قدرا .

الا ان مخازن دولة اخرى اخذت تمتلىء بنفس السلاح الرادع . وصحت الارادة الامريكية المطلقة لتجد نفسها وقد فقدت حريتها التي تمتعت بها فترة من الوقت . واخذ الجميع يفكرون في تصور العالم الجديد الذي وجدوا انفسهم فيه.

وكان اول تطور خطير في هذا العالم الجديد هو ان الاتحاد السوفييتي لم يتكتم امتلاكه للاسلحة الذرية ولم يفرض ستار السرية المعتاد في مثل هذه الظروف ، بل تعمدت موسكو ان تذيع الخبر على العالم اجمع . وكان ذلك اول كسر للمبادىء التي عرفتها من قبل. فقد جعلت الظروف والمتغيرات فرض السرية في مثل هذه المجالات عملا من اعمال الماضي . وعرف العالم اجمع انه اذا كانت الولايات المتحدة قادرة على الردع والاجبار فالاتحاد السوفييتي ايضا لديه ما يردع ويحير (٩) .

وبدأ السباق بين الدولتين . واصبح ما كان يصلح في الماضي لا يصلح للحاضر . فالولايات المتحدة لم تعد آمنة كما كانت طوال عمرها اذ كانت تستمد امنها من محيطين كبيرين يفصلانها عن اليابسة في اي بقعة من بقاع العالم . ومن سخرية القدر ان القوة النووية التي وهبتها المناعة والامن في الخمسينات ــ وقت احتكارها لهذه القوة ــ هي التي تسببت بعد ذلك في تهديدها وجعلتها لاول مرة في التاريخ معرضة للعدوان واصبح امنها المطلق حدثا من احداث الماضي (١٠) .

ومنذ ذلك الوقت اخذت افكار جديدة تظهر هنا وهناك تتحدث عن تأثير القوة النووية في تغيير اصول وقواعد ونوعية الصراع العالمي وشكله واخذت هذه الاقلام تتحدث في موضوعات جديدة لم تكن معروفة من قبل :

ــ اخذت تتحدث عن دور الاستراتيجية في العصر الذري مثلا فان كانت

---

(٩) كتاب « الامن العربي في مواجهة الامن الاسرائيلي » للمؤلف ــ اصدار دار الطليعة ــ بيروت.
(١٠) كتاب « ضرورة الاختيار » لهنري كيسنجر .

الاستراتيجية في الماضي تعني الاستخدام الماهر للقوة فقد اصبحت استراتيجية الرعب النووي هي في عدم المواجهة المباشرة بين الدولتين الاعظم ، او فن ترجمة القوة الى دبلوماسية ، او فن الاستخدام الماهر لعدم استخدام القوة ، او فن الاقتصار على التهديد باستخدام القوة . وبعبارة اخرى اصبحت الاستراتيجية النووية هي عبارة عن فن الردع .

ـ ثم اخذت تتحدث عما تعنيه « القدرة الكاملة لاي دولة على شن الحرب» اذ كان هذا التعبير يعني في الماضي حاصل جمع بعض العوامل المادية والمعنوية. اما في ظل الرعب النووي يكون في الحساب بمثل هذه الطريقة مجازفة مدمرة اذ اصبحت « القدرة » تعني احتفاظ الدولة بمستوى قدرتها الرادعة قويا بدرجة حاسمة تمنع المواجهة الفعلية . ذلك لان الردع هو توجيه التهديد دون تنفيذه، هو استغلال وجود الاسلحة والتلويح بها دون استخدامها استخداما فعليا .

ـ حتى انواع الحرب المعروفة في ظل الاسلحة التقليدية تغيرت معانيها في ظل القوى النووية : المواجهة المباشرة المطلقة ، المواجهة المباشرة المحدودة ، الحرب المحدودة ، الحرب المحلية ، كلها اصبح لها معنى جديد .

وعلى سبيل المثال ـ وحتى لا نستطرد عن موضوعنا الاساسي ـ نحدد الخلاف الذي طرأ على ما نعنيه بالحرب المحلية فقط . اذ في ظل التوازن النووي الذي وجد بين الدولتين الاعظم اصبح شن حرب شاملة بينهما محل شك كبير ان لم يكن فيه استحالة ولكن هذه الاستحالة قد تحول السياسة الدولية الى جمود مطلق وهذا ضد طبيعة المجتمعات الدولية او تحولها الى غابة كبرى تكون البشرية ضحيتها الوحيدة . والحل الذي يخرج المجتمع الدولي من حالة الجمود او الفوضى هو في السماح بالحروب المحلية التي قد تقع هنا وهناك. واصبحت هذه الحروب « حروبا محلية دولية » تجري في مناطق تصطدم فيها ارادتان : ارادة الدولتين الاعظم بما لهما من مصالح عالمية تحددها سياستهما العالمية ، وارادة الدولتين المحليتين بما لهما من مصالح محلية متناقضة . وعلى ذلك فلم يعد « للحرب المحلية البحتة » وجود في ظل الاستراتيجية الذرية بل اصبحت «حروبا محلية دولية » او بالاصح « حروبا محلية بالوكالة » في احد جوانبها على اقل تقدير .

ـ وقرار شن الحرب ايضا اصبح مفهومه متغيرا . اذ اثرت الاستراتيجية النووية في ديمقراطية اتخاذ القرار وقللت كثيرا من عدد الحلقات التي كان عليه ان يمر خلالها في الماضي ، مما القى عبئا ثقيلا على رئيس الدولة في ادارة الصراع في ظل الاستراتيجية المعاصرة . فان كان رئيس الدولة في الماضي يحتاج الى موافقة المؤسسات الدستورية قبل اعلان الحرب بطريقة رسمية ، فان هذا الامر اصبح لا يتفق مع طبيعة الحرب النووية . اذ ان الوقت لن يسمح بذلك . فالسرعة التي اصبح التهديد ينتقل بها الى الغرض اثرت بالضرورة في السرعة التي يجب ان

يؤخذ بها القرار . وان كان رئيس الدولة في الماضي يعلن الحرب ويترك لغيره واجب فتح النيران فانه اصبح يقوم بالواجبين معا في ظل حرب الازرار . واصبح من اللازم في الوقت نفسه ان يصبح رئيس الدولة اكثر دراية بالامور الاستراتيجية والعسكرية والتكنولوجية اذ تعدت مسؤولية مجرد اعلان الحرب الى الكفاءة في ادارة الصراع والسيطرة على العمليات الحربية الدائرة سيطرة مباشرة .

ـ واصبح الحديث يتطرق الى علاقة الاستراتيجية بالدبلوماسية والتقدم التكنولوجي بعد ان كان الحديث في الماضي يتطرق الى علاقة الاستراتيجية بالدبلوماسية فحسب اذ ان الاستراتيجية النووية هي وليدة التقدم التكنولوجي. لذا فان التكنولوجيا اصبحت تؤثر في السياسة اكثر من تأثير السياسة عليها. واصبح الحديث ايضا يتناول نوعا جديدا من الحروب هي « حرب التكنولوجيا » التي تعني استخدام القدرات الخلاقة لتنمية امكانية الدولة وقدراتها لحل مشاكلها حلا يراعي عامل الوقت اذ انها في سباق مستمر مع الخصم وهي تشكل بذلك العمود الفقري للسياسة القومية للدراسة بل اصبح من اللازم التفرقة بين حرب التكنولوجيا والحروب التكنولوجية .

فان كانت وسيلة الامن القومي هي حرب التكنولوجيا، فان وسيلة الامن العسكري هي الحرب التكنولوجية . وبعد ذلك فان الحرب التكنولوجية فرع من فروع حرب التكنولوجيا وذلك لان الاخيرة تسعى الى فرض ارادة الدولة دون الحاجة الى خوض حرب فعلية . فالتقدم في احد المجالات هو كسب للمعركة الدائرة واضافة الى رصيد الدولة في مجال السياسة المحلية والعالمية دون الحاجة الى تصويب طلقة او اطلاق صاروخ . وان كانت الحرب التكنولوجية تعتمد على القوة فان حرب التكنولوجيا تعتمد بثقل على القدرة. وحرب التكنولوجيا اكثر ديناميكية من الحرب التكنولوجية اذ حركتها دائمة ومستمرة . فبينما الحرب التكنولوجية تتحرك في فترة بين سلمين فان حرب التكنولوجيا تتحرك بصفة دائمة دون توقف اذ ان الصراع فيها دائم في كل الاوقات. وان كانت استراتيجية الحرب التكنولوجية تنحصر في استخدام الوسائل المتيسرة فان استراتيجية حرب التكنولوجيا هي خلق الوسائل وابتكارها وتحسينها . وبذلك فان كان مجال عمل الحرب التكنولوجية هو مسرح العمليات فان مجال عمل حرب التكنولوجيا هو العامل والمخازن (١١) .

ـ وكان اخطر موضوع في النقاش الدائر بحق هو كيفية استخدام هذا السلاح الخطير الذي اصبح في يد الدولتين الاعظم . في مبدأ الامر نظر كل منهما الى هذا السلاح نظرة فخر واعتزاز . ولكن ما لبثت الحيرة ان دبت في النفوس وبدأ التساؤل يلح عن القيمة الحقيقية لهذا السلاح المدمر . وحينما زادت قوته التدميرية انقلب التساؤل والحيرة الى شعور بالرعب من استخدامه .

(١١) كتاب « الامن العربي في مواجهة الامن الاسرائيلي » للمؤلف .

واصبح السلام الذي كان من المفروض ان يبث الامن والطمأنينة بمثابة عامل للقلق الدائم والرعب القاتل . واصبح البعض في حالة اليأس التي وجد نفسه فيها ينادي بحرب ذرية شاملة وليكن ما يكون . واصبح البعض الاخر ينادي بأفكار تحذر من الخطر الذي يهدد البشرية ليقيد من استخدام هذا السلاح الرهيب .

وليس هذا الامر جديدا على البشرية في كل العصور . فالعقل البشري يحاول جاهدا ان يخلق ما يهدد البشرية بالفناء . ثم بعد ذلك وحينما يجد نفسه امام المشكلة العويصة يحاول ان يخفف من الكارثة قبل ان تقضي عليه .

ولذلك فان الدعوة الى « تهذيب الحرب » دعوة قديمة قدم البشرية نفسها. وهكذا اصبح العالم امام مشكلة عويصة وهي كيف يتم الصراع فيظل هذا السلاح الخطير ؟

ولنترك المجال الان لهنري كيسنجر لكي يجيب على السؤال .

استحالة الحرب الذرية الشاملة

يقول هنري كيسنجر ان الاستراتيجية الامريكية (١٢) الحالية تبنى على ما يسمى « بالردع الشامل » ، وهي تعني الرد على اي تهديد لمصالح الولايات المتحدة بحرب ذرية شاملة . ولكن الملاحظ انه في ظل هذه السياسة يزداد القلق والخوف كل عام عن العام الذي سبقه رغما عن زيادة قوة المخزون من الاسلحة الذرية .

وبدأت المخاوف تجتذب انتباه بعض النقاد والمحللين وبدأت التساؤلات تطرح نفسها :

هل قوة الولايات المتحدة النووية والتي لا شك فيها تحول حقيقة دون تعرضها للعدوان من جانب الاتحاد السوفييتي ؟ ام انها معرضة فعلا للتهديد بالعدوان من جانب الاتحاد السوفييتي وهذا هو الذي يجعلها تخضع لسياسة الابتزاز التي يمارسها ؟ هل يمكن تحقيق السلام بتهديد العدو بالقوة الذرية الساحقة التي تمتلكها الولايات المتحدة الامريكية ؟ ام هل من الافضل ردع العدوان واستراتيجيته محدودة ؟ وما معنى التعرض للعدوان ؟ ثم ما هي عناصر الامن ؟

وطرحت ردود مقنعة كثيرة لهذه التساؤلات . الا ان اغلب العسكريين يرون

(١٢) كان هذا النقاش يدور في اواخر الخمسينات وكانت تعرف هذه السياسة بسياسة ايزنهاور ـ دالاس والاول كان رئيسا للولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية والثاني جون فوستر دالاس الذي عمل وزيرا للخارجية .

انه طالما لم يقم العدو بأي عدوان طوال السنين الماضية في ظل سياسة « الردع الشامل » فان هذا اكبر دليل على سلامة هذه السياسة وصحتها .

الا ان الامور لاينبغي ان تؤخذ بهذه البساطة ولا بد من استمرار المناقشة الفنية لمثل هذه الامور شديدة التعقيد منذ ان اصبحت خارج طاقة ادراك الراي العام ويترتب علىذلك تعذر تعبئة الرأي العام لفرض تغيير هذه السياسةالعسكرية القائمة خاصة اذا كانت تبدو ناجحة من الناحية الظاهرية . وليس هناك من بديل الا محاولة اقناع من هم في مواجهة المسؤولية بخطأ السياسة القائمة وطرح اختيارات اخرى جديدة .

فالمشكلة الحالية تنحصر فيالمقارنة بين **الامن المحقق** وبين **التعرض للعدوان،** وهما الموضوعان اللذان تدور حولهما المناقشة . ولكل من طرفي المعادلة اسبابه المقنعة .

فقوة الولايات المتحدة لا شك فيها ولكنها معرضة للعدوان رغم هذه القوة. وما تملكه الولايات المتحدة من اسلحة ذرية تجعل في قدرتها تدمير الاتحاد السوفييتي عدة مرات . ولكن قوة ردع الولايات المتحدة للاتحاد السوفييتي محل شك .

تناقض غريب : كيف يتأتى ان قدرة الولايات المتحدة على تدمير الاتحاد السوفييتي امر لا شك فيه . ولكن ما زال امنها في كفة القدر ؟ كيف يتأتى ان قوة الولايات المتحدة قادرة على سحق الاتحاد السوفييتي عدة مرات ولكن قدرتها على ردعه امر مشكوك فيه ؟ هذه هي القضية .

وسبب هذا التناقض يرجع الى ثلاثة عوامل : طبيعة الردع ، تغير التكنولوجيا ، الاستراتيجية الحالية .

وسوف نناقش كلا من هذه النقاط على حدة :

فمشكلة الردع عامل جديد في تاريخ السياسة الحربية . اذ كان يطلب في الماضي من القوات المساحة ان تستعد للحرب . ومحك هذا الاستعداد يتبلور في الانتصار في الحرب اي القضاء نهائيا على ارادة الخصم .

ولكن الامور تختلف عن ذلك تماما في عصر القوة النووية . فلم يعد الانتصار هو الغرض الذي تسعى اليه القوات العسكرية لان مجرد بداية الحرب كارثة يجب تجنبها . وعلى ذلك اصبح الغرض من القوات العسكرية هو قدرتها على منع الحرب ، اي قدرتها على تحقيق السلام .

وبذلك اصبح نجاح اي قوة عسكرية يتوقف في عصر القوة النووية على المعايير النفسية (١٣) وليس على المعايير المادية . ذلك لان الردع يهدف الى منع الخصم من اتخاذ اجراء ما بالتقليل من قيمة نتائجه للاختيارات او البدائل الاخرى . وبذلك ينحصر تأثيره في عقل الخصم وتفكيره ويصبح لعنفه الظاهري نفس تأثير عنفه الواقعي . فأي اجراء « تهويشي » يأخذه الخصم مأخذ الجد اكثر فائدة من اجراء جاد يأخذه الخصم على انه اجراء غير جاد .

فالردع اذن يحتاج الى مزيج من القوة + الارادة لاستخدامها + تصديق العدو لهذين الاستخدامين .

ويخطيء من يظن ان الردع عبارة عن حاصل جمع هذه العوامل اذ انه نتيجة لها . وهناك فارق كبير بين الامرين . فاذا كان مقدار كل هذه العوامل صفرا فان الردع يفشل في احداث الاثر المطلوب . فعامل القوة مهما كان قيمته يفقد هذه القيمة اذا كانت النية لاستخدامه محل شك كذلك فانه ان توافرت القوة والنية لاستخدامها دون ان يصدق العدو فشل الردع ايضا .

ولا ينطبق ذلك على الدولتين الاعظم اللتين تمتلكان القوة النووية فحسب، بل ينسحب ايضا على الدول الاخرى . فاذا هددت دولة ما من جانب الاتحاد السوفييتي وشعرت ان قوة الولايات المتحدة اقل من قوة الاتحاد السوفييتي فانها سوف ترضخ لطلباته او على اقل تقدير فانها تسعى الى الوصول الى اتفاق معه رغما عن ان قوة الولايات المتحدة في واقع الحال اكبر من قوة الاتحاد السوفييتي. وبالمثل فانه ان شعرت دولة ما ان الاتحاد السوفييتي يساندها فانها قد تدخل في مواجهة مع الولايات المتحدة الامريكية رغما عن التفاوت الكبير بين القوتين .

وفي كل الحالات قد تكون الدولة ضعيفة عسكريا ولكنها اقوى من الناحية النفسية ، وهنا يمكنها ان تردع دولة اقوى منها عن طريق تهديد غرض ثمين لا يكون الخصم مستعدا للتخلي عنه او التضحية به .

فقد تم ردع الولايات المتحدة عند العدوان السوفييتي على المجر فلم تبد فعلا ايجابيا ضد العدوان لان الاتحاد السوفييتي اقنع الولايات المتحدة بأنه سوف يتحمل كل المخاطر في سبيل تحقيق غرضه . وقد ارتدعت الولايات المتحدة فعلا ليس من الخوف من الهزيمة ولكن لعدم رغبتها في دفع ثمن الانتصار .

(١٣) كان الانتصار في المعركة قبل عصر القوة الذرية هو الذي يفرض الارادة على الخصم ،فالانتصار او الهزيمة هنا نتيجة لفعل او رد فعل جماعي . اما في عصر القوة النووية فان الردع يوجه بجهد فردي متمثلا في رئيس الدولة او قيادته التي تساعده في ذلك للتأثير على قائد او قيادة الدولة المعادية .

والتأثير النفسي للردع يتغير تبعا للتغير التكنولوجي . فحقائق اليوم قد تصبح مجرد اوهام في الغد والسياسة المناسبة في الماضي تصبح لا معنى لها في المستقبل . ولنضرب مثلا بذلك التغييرات التكنولوجية التي حدثت بعد الحرب العالمية الثانية :

آ ــ الفترة التي كانت الولايات المتحدة تحتكر فيها القنبلة الذرية ووسائل الاطلاق (١٤) .

ب ــ الفترة التي انتهى فيها احتكار الولايات المتحدة للقنبلة الذرية ولكن ظل احتكارها لوسائل الاطلاق قائما .

ج ــ الفترة التي بدأ فيها الاتحاد السوفييتي في انتاج وسائل الاطلاق ولكن ظل التفوق لدى الولايات المتحدة من ناحية العدد والتوزيع الاستراتيجي للقواعد.

د ــ الفترة التي تقاربت فيها الدولتان في الاسلحة الذرية ووسائل الاطلاق وبدأ الاتحاد السوفييتي يتفوق في بعض الانواع .

وفي الحالات الثلاث الاولى كانت الولايات المتحدة الامريكية قادرة على القيام بالردع الشامل حيث توافر لها التفوق الساحق في السلاح الذري ووسائل اطلاقه وكانت بذلك قادرة على ممارسة الردع في المكان الذي تختاره وفي الوقت الذي تحدده . وبمعنى اخر كان يتوافر لها القدرة على منع الاتحاد السوفييتي من القيام بأي عدوان .

ولكن الفترة الرابعة خلقت ما يسمى « بفجوة الردع » اصبحت فيها الولايات المتحدة في متناول اليد . وتأكد لدى البعض انطباع متشكك في عزيمتها وتصميمها على استخدام قوتها الرادعة . وان صح ذلك فشل الردع برغم قوة الولايات المتحدة ، او على وجه الدقة بسبب خوف الولايات المتحدة من استخدام هذه القوة .

« وفجوة الردع » هذه بدات حتى في فترة احتكار الولايات المتحدة للقوة الذرية في البداية اذ لم تصدق نيتها ابدا في استخدامها ، وبالتالي فان الولايات المتحدة اردعت نفسها بواسطة اسلحتها الرادعة وزادت الفجوة بين « امتلاك قوة الردع » و « النية على استخدامها » اتساعا بمرور الوقت . فالتهديد يكتسب

(١٤) اي سلاح ذري ما هو الا قذيفة تحتاج الى وسيلة الى نقلها الى الجانب الاخر . قد تكون وسيلة النقل قاذفات ثقيلة او صواريخ (متوسطة المدى او عابرة للقارات) او محطات اطلاق ثابتة او متحركة .

فعاليته اذا كان تهديدا حقيقيا مصدقا من الجانب الاخر .

وليس مهما التصريح « بأننا لم نكن اقوى منا الان » ولكن الاهم هو النية والعزم على الاقدام واستخدام هذه القوة . فهذا هو المحك الرئيسي للردع .

وان كانت الفجوة في الردع الناجمة عن « امتلاك القوة » و « التردد في استخدامها » تتسع الان ، كيف يكون الحال لو حدثت فجوة اخرى نتيجة لتفوق الاتحاد السوفييتي في الصواريخ ؟

ويؤكد كيسنجر وجود «فجوة الصواريخ» هذه وانها تستمر من ١٩٦١ حتى ١٩٦٥ وفيها يكون التفوق في الصواريخ بعيدة المدى حاملة القنابل الذرية في جانب الاتحاد السوفييتي (١٥) .

وهناك عدة تصورات لهذه الفترة . فحكومة ايزنهاور كانت تعتقد ان « تنوع القوة الرادعة » يعوض «النقص في الصواريخ بعيدة المدى» فالطائرات والغواصات المجهزة بالصاروخ بولاريس والصواريخ بعيدة المدى ستجعل للقوة الرادعة الامريكية اليد الطولي . ولكن البعض الاخر يتصور ان هذه الفجوة ستمكن الاتحاد السوفييتي من القيام بالهجوم المفاجيء على الولايات المتحدة الامريكية . ذلك لان « فجوة الصواريخ » تؤدي الى « فجوة الردع » . وهناك تصور ثالث وسط بين التصورين . فالفجوة موجودة ولكنها ليست بالقدر الذي يسمح للاتحاد السوفييتي بشن هجوم مفاجيء على الولايات المتحدة ولكنها ستمكنهم من ممارسة الابتزاز السياسي على حساب المصالح الامريكية .

اذن فهناك فجوتان : **الفجوة الناتجة من « امتلاك القوة الرادعة » « وعدم التصميم على استخدامها » والفجوة الاخرى الناجمة عن تفوق الاتحاد السوفييتي في عدد الصواريخ وهي ما تعرف « بفجوة الصواريخ » . هاتان الفجوتان تحولان دون صحة نظرية « الردع الشامل » التي تتبعها الولايات المتحدة الامريكية وتشجعان في الوقت نفسه على احتمال حدوث العدوان اي ينتج عنها فشل الردع .**

والعدوان قد يكون على صورة :

آ ــ ضربة شاملة هجومية لتدمير الخصم عن سبق اصرار ويسمى هذا

---

(١٥) هناك بعض الكتاب من ينكرون وجود « فجوة الصواريخ » ويؤكدون انها من صنع خيال هنري كيسنجر . تماما « كفجوة القاذفات » التي تحدث عنها البعض في اواخر الخمسينات. ولهذا السبب فانهم يتهمون هنري كيسنجر بالتخاذل والاستسلام .

النوع من الهجوم « الهجوم المفاجيء » ويحدد وقته بواسطة المهاجم . وهو بذلك هجوم عدواني .

ب ــ ضربة وقائية لمنع الخصم من القيام بضربة قاتلة ، اي تدمير العدو قبل ان يتمكن من تدميرنا ويسمى « بالهجوم الوقائي » . وهو هجوم غرضه دفاعي يتوقف توقيته على الاجراءات التي يقوم بها الجانب الاخر .

ويقوم العدو بالهجوم المفاجيء اذا لم يكن لديه اي شك في نجاحه . وعلى ذلك فانه يمكن ردع هذا النوع من الهجوم اذا قدر العدو انه سيتكبد خسائر لا قبل له بها في حالة الرد ويفشل ردع هذا النوع من الهجوم اذا كان العدو مستعدا لدفع الثمن مهما كان باهظا . وهذا يجبر الولايات المتحدة على ضرورة بذل جهد اكبر مما يبذله الاتحاد السوفييتي اذ ربما يكون قدر الدماء المتحمل لدى الولايات المتحدة اقل مما هو لديهم .

اما الهجوم الوقائي فانه يحدث في حالة حدوث توازن بين القوتين وهذا التوازن ينتج عن عاملين : الخوف من هجوم متوقع، او تعرض قوة الردع للضرب. والعامل الاخير يجعل الدولة تعيش في رعب من توقع حدوث هجوم عليها يضعها تحت رحمة العدو . وعلى ذلك فانه كلما قل تعرض قوة الردع للضرب قل تعرضها للهجوم الوقائي . ويقل احتمال الهجوم الوقائي اذا زاد حماية « قوة الردع » ، وزادت في الوقت نفسه درجة الاستعداد الى الحد الذي يمكن من تحمل الضربة والقدرة على توجيه ضربة للعدو توقع بالعدو الخسائر الكافية لتدميره .

ويمكن ردع الهجوم الوقائي باجراءين : تجنب اتخاذ اجراءات يفسرها العدو على انها استعداد للقيام بهجوم مفاجيء وكذا بحماية قوة الردع من التعرض وباختصار فانه كلما اتسعت الفجوة بين قوة الدولة على احداث خسائر قبل تحملها الضربة المفاجئة وبعد حدوثها كان خطر الهجوم المفاجيء اكبر وكلما قلت الفجوة بين الضربة الاولى والضربة الثانية للدولة كلما قل الحافز الذي يغري العدو لشن هجوم وقائي .

وتقليل تعرض القوة الرادعة مشكلة في عصر الصواريخ خاصة اذا كانت قوة الردع تتكون من الطائرات والصواريخ الثابتة ذات الوقود السائل . مثل هذه القوة عرضة للضرب وقدرتها على رد الفعل امر مشكوك فيه . وفي مثل هذه الحالة يكون الكسب في جانب من يقوم بالضربة الاولى .

ونظرا لامتلاك الدولتين الاعظم قوة ذرية كبرى فان الموقف قد تجمد واصبح من الصعب فرض ارادة الولايات المتحدة على الغير باتباع الحرب الشاملة .

واستخدام الصواريخ في ردع الهجوم المفاجيء افضل من استخدام الطائرة. اذ ان الطائرة تستغرق وقتا اطول للقيام بواجبها علاوة على احتمال تدخل العوامل الجوية لتحول دون استخدامها اصلا بالاضافة الى عدم دقة ادوات الملاحة والتصويب واحتمال اكتشاف العدو لها اثناء مرحلة اقترابها من الهدف ومن ثم يطلق قواته الرادعة لاحباط المحاولة . اما الصواريخ فهي اكثر دقة واسهل استخداما .

ولا تتوقف قيمة الردع ابدا على عدد الصواريخ او الطائرات المتاحة ولكنها تتوقف على عدد الصواريخ والطائرات التي تنجو من الضربة الاولى (١٦) . ولذا فان قوة ردع صغيرة منتشرة على مسافات واسعة افضل استراتيجيا من قوات ردع كبيرة مكدسة ومعرضة للضرب . ذلك ان حجمها الكبير المكدس في مساحات قليلة يغري بتوجيه ضربة وقائية لها . ولذا فان فجوة الصواريخ لا تنجم عن التفاوت العددي فحسب ولكن تنجم ايضا من عدم انتشار قوة الردع ومقدار تعرضها .

وقد يقول قائل ان تحقيق الانذار المبكر يغني عن انتشار القوة الرادعة. وهذا امر لا يتفق مع الواقع. فانه في عصر الصواريخ تكون فترة الانذار المتيسرة قصيرة للغاية لا تسمح بنقل المعلومات وتقييمها والاستعداد للرد وان كان لا يوجد ثمة اعتراض على الاهتمام بأجهزة الانذار وتطويرها . الا ان هذا لا يمكن ان يعتبر بديلا على عدم تعرض القوة الرادعة . اذ ان هذا كفيل بتحقيق فرصة النجاة من الضربة الاولى والابقاء على القدرة على توجيه الضربة الثانية لايقاع الخسائر غير المحتملة ضد العدو . (١٧) .

وحتى منتصف عام ١٩٦٠ كانت القوة الرادعة الامريكية تمر بتناقضين غريبين : **قوتها التهديدية** التي لا شك فيها **الى جانب تعرضها** . هذا التناقض فيه تشجيع للاتحاد السوفييتي على التخلص من خطر القوة التي تهدده علاوة على انه خلق فجوة كبيرة بين قدرة الولايات المتحدة الامريكية على القيام بالضربة الاولى (اي القوة) وبين قدرتها على توجيه الضربة الثانية (الناتجة من التعرض) وهذا حافز قوي للاتحاد السوفييتي للقيام بضربة فجائية .

والضرورات الاستراتيجية للردع اذن تنتهي بنا الى ثلاث ضروريات :

---

(١٦) اكبر مثل على ذلك ما حدث في نكسة ١٩٦٧ حينما ضربت القوات الجوية العربية في الضربة الاولى وهي قابعة في مطاراتها .

(١٧) وهذا ابلغ رد على تبرير البعض بان النكسة في عام ١٩٦٧ ترجع الى افتقارنا لوسائل الانذار اذ كان من الواجب حماية قواتنا الرادعة المتمثلة في القوات الجوية حتى يمكنها ان تنجو من الضربة الاولى المعادية وتوجه الضربة الثانية .

آ ـ ان وجود قوة رادعة لا يمكن ضربها شرط مسبق لتحقيق الردع . وتتحقق حماية هذه القوة اذا امكنها تحمل تأثير الضربة الاولى مع احتفاظها في الوقت نفسه بقدرتها على القيام بالضربة الثانية لتوقع بالخصم خسائر غير محتملة . وان تحقق ذلك قل اعتماد قوة الردع على وسيلة الانذار (١٨) .

ب ـ يتوقف عدم تعرض القوة الرادعة على اتخاذ عدة اجراءات دفاعية هي: الناحية العددية ، الانتشار ، تقوية القواعد ، طبيعة الحركة .

وان توافرت هذه العوامل تحقق الردع اي تحقق الاستقرار .

(١) فالتفوق العددي يجعل من المستحيل على العدو القضاء عليها الا ان هذا العامل له طابع عدواني يشجع العدو على القيام بضربة وقائية للتخلص من خطر يهدده . لذا فان الاهتمام بتحقيق العوامل الثلاثة الاخرى افضل . اذ يتحقق عن طريقها الاستقرار عن طريق اجراءات دفاعية .

(٢) والانتشار اي توزيع قوة الردع على مسافات شاسعة يزيد من صعوبة قدرة العدو على تدميرها اذ يضاعف الاهداف التي من المحتم عليه ضربها .

(٣) وتقوية القواعد او مواقع قوة الردع يزيد من اعباء القوة المهاجمة ويتطلب مزيدا من الدقة . فاحاطة القواعد بالسواتر يكفل لها الحماية ضد الشظايا وان كانت لا توفر لها الحماية ضد الضربات المباشرة والتي تحتاج بدورها الى دقة كبيرة في التصويب (١٩) .

(٤) وخفة الحركة تتحقق عن طريق القاذفات التي تستمر في التحليق في الجو على مدار الليل والنهار دون توقف . كما يمكن تحريك الصواريخ بصفة مستمرة ، اما على خطوط سكة حديد معدة لهذا الغرض او على صنادل نهرية او مراكب ساحلية او غواصات . وربما يكون توفير خفة الحركة لقوة الردع هو اكثر الاجراءات فاعلية لحمايتها اذ ينتج عنها تزايد الشك لدى العدو في تحديد موقع القوة الرادعة وبالتالي تقلل من قدرته على تدميرها . وطالما تأكد العدو ان القوة الرادعة لا يمكن تدميرها او ابطال مفعولها فان فرصته للقيام بهجوم ناجح تقل وبذلك يتحقق الردع علاوة على ان خفة الحركة هذه تزيد من قوة الردع على القيام بالضربة الثانية .

ج ـ الحفاظ على قيمة الردع يجب عدم الوقوع في محظورين :

---

(١٨) تأييد علمي للملحوظة السابقة .

(١٩) مثل اقامة الدشم المحصنة لحماية الطائرات ووسائل الدفاع الجوي .

(١) اعتبار العلاقات الاستراتيجية بين القوتين الاعظم علاقات ثابتة .

(٢) التقليل من حالة الاستعداد الحالية على امل تحقيق التوازن على المدى البعيد .

فسرعة التغييرات التكنولوجية تهدد طبيعة العلاقات الاستراتيجية القائمة على الدوام . فاي تحسن في وسائل مقاومة الغواصات مثلا يقلل من قيمتها كقواعد للهجوم . واي تحسن في وسائل التوجيه او في رؤوس الصواريخ يزيد من دقة الضربة ويقلل من قيمة الاجراءات التي تتخذ لتقوية القواعد .

وكذلك فان اي ضعف في حالة الاستعداد الحالية على اساس ان التخطيط طويل المدى هو الذي سيحقق التوازن يغري العدو بالهجوم . اذن فلا غنى اطلاقا عن الاستمرار في الاستعداد . فالمدافع يردع اذا كان في حالة استعداد دائم في كل وقت .

وترتيبا على مناقشة العوامل السابقة فان كيسنجر ينتهي الى ان اوضاع الولايات المتحدة الامريكية الحالية تشجع العدو على القيام بضربة وقائية .

- ففجوة الصواريخ بين العملاقين لا يمكن تجنبها في الفترة بين عامي ١٩٦١ – ١٩٦٥ .
- حتى لو امكن اختراع اسلحة جديدة فان الفترة اللازمة لانتاجها تجعل تضييق الفجوة وليس الغاءها هو الممكن .
- القوات الرادعة الامريكية معرضة ومكشوفة .
- العدو لا يدخر جهدا في انتاج عدد متزايد من الصواريخ .
- استمرار اعتماد الولايات المتحدة على استراتيجية الردع الشامل او الحرب الشاملة كوسيلة رادعة لوسائل الابتزاز الروسية المحلية فما عادت هذه الاستراتيجية ذات جدوى امام تكاثر التحديات في مختلف بقاع العالم .

اذن فأمام الولايات المتحدة الشيء الكثير مما يمكنها عمله لتحقيق الردع اي تحقيق الاستقرار . وتبقى مشكلة تعرض قوة الردع الامريكية على رأس المشكلات التي على الولايات المتحدة مواجهتها .

وسط هذه المشاكل الطاحنة يدور النقاش بين مدرستين : مدرسة القوة

المضادة ومدرسة الردع المحدود .

آ – **مدرسة القوة المضادة** تنادي بأن الردع لا يهدف فقط الى تحطيم المراكز الصناعية للعدو ومناطق اسكانه ، بل يهدف ايضا الى تحطيم قوته الضاربة ، اي القوات المسلحة . وهذه السياسة تحتاج الى قوات كبيرة وتطالب بضرورة القيام بالضربة الاولى وتصعيد الموقف لدرجة الاقدام على خوض حرب شاملة. ولكن هناك خطورة كبرى لا يقدرها اصحاب هذه المدرسة . وهي ماذا يكون عليه الموقف لو ان القوة الضاربة المعادية نجت من التدمير الشامل واصبح لديها القدرة على توجيه الضربة الثانية ؟ ثم هل الخسائر الفادحة التي ستترتب على ذلك يمكن تحملها ؟

ب – **انصار مدرسة الردع المحدود** يفضلون بناء قوة رادعة صغيرة محمية حماية جيدة وقادرة على احداث الخسائر غير المحتملة بالعدو . وهم يرون ان الدقة في التصويب ليست مطلوبة . فالغرض الاساسي هو النجاة من الضربة الاولى التي قد يوجهها العدو والاحتفاظ بالقدرة على الرد . ويكفي ان يكون عدد القوات الرادعة مساويا لعدد مراكز التجمع داخل الاتحاد السوفييتي .

والمفاضلة بين المدرستين امر في غاية الصعوبة خاصة اذا كانت هناك بدائل اخرى وعلى اي حال فان استخدام القوة الرادعة لا بد ان يبحث في ضوء حظرين : – التهديد بقيام حرب شاملة ، – او التهديد بقيام حرب محدودة . وفي الحالة الاولى يتعرض الوجود نفسه الى خطر الفناء . اما في الحالة الثانية فانه يؤدي الى تدهور الموقف القومي تدهورا خطيرا .

ولا يمكن تصور حالة القوات الرادعة للقوتين الاعظم من ناحية تعرضها الا داخل تصورات اربعة .

قوة الردع الامريكية	قوة الردع السوفياتية
١ – معرضة	معرضة
٢ – غير معرضة	معرضة (٢٠)
٣ – معرضة	غير معرضة (٢١)
٤ – غير معرضة	غير معرضة (٢٢)

والجدول التالي يؤكد مفهوم الولايات المتحدة لفجوة الصواريخ

(٢٠) كان هذا الموقف وقت الاحتكار الامريكي للقوة النووية .

(٢١) يصبح الموقف على هذه الصورة اثناء فجوة الصواريخ التي يتحدث عنها كيسنجر .

(٢٢) يصبح الموقف على هذه الصورة عند اجتياز وتخطي فجوة الصواريخ .

مسلسل	وضع القوة الانتقامية		النتيجة عند قيام الحرب الشاملة		قدرة القوة الانتقامية الامريكية على الردع	
	امريكا	روسيا	امريكا	روسيا	الحرب الشاملة	العدوان المحدود
١	غير محصنة	غير محصنة	تنتصر اذا وجهت الضربة الاولى تنهزم اذا انتظرت للضربة الثانية	تنتصر اذا وجهت الضربة الاولى تنهزم اذا انتظرت للضربة الثانية	غير مستقرة لدرجة كبيرة	غير مضمونة النتائج وغير مستقرة
٢	غير محصنة	محصنة	الضربة الاولى لا تؤدي الى انتصار او هزيمة تنهزم اذا انتظرت للضربة الثانية	تنتصر اذا وجهت الضربة الاولى لا تؤدي الضربة الثانية الى انتصار او هزيمة	منخفضة جدا ضد اي هجوم مفاجيء متعمد	تكاد تكون عديمة الفائدة
٣	محصنة	غير محصنة	تنتصر اذا وجهت الضربة الاولى الضربة الثانية لا تؤدي الى انتصار	الضربة الاولى لا تؤدي الى انتصار او هزيمة تنهزم اذا انتظرت الضربة الثانية	عالية بالنسبة للردع ضد الحرب الشاملة	يمكن ان تمنع العدوان المحدود
٤	محصنة	محصنة	الضربة الاولى لا تؤدي الى نصر او هزيمة الضربة الثانية لا تؤدي الى نصر او هزيمة	الضربة الاولى لا تؤدي الى نصر او هزيمة الضربة الثانية لا تؤدي الى نصر او هزيمة	حالة من الردع المتبادل	يكون التهديد بحرب شاملة عديم القيمة

فحالة تعرض القوة الرادعة لطرفين تعني ان كليهما لم يحم قواته الرادعة ضد اي هجوم مفاجيء . وفي هذه الحالة من يوجه الضربة الاولى يفوز ومن ينتظر الضربة الثانية يهزم . فالفجوة بين القدرة على توجيه الضربة الاولى والقدرة على توجيه الضربة الثانية كبيرة . وتحتاج قوة الردع غير المحصنة الى انذار مبكر اذ ان الصواريخ عابرة القارات تصل الى اهدافها في اقل من ثلاثين ثانية مما يحتاج الى ان يكون الرد تلقائيا واوتوماتيكيا ويجتاز قرار دخول الحرب او تجنبها كل الاعتبارات السياسية او حتى العسكرية . والوضع غير المحصن للقوة الرادعة لطرفين يرجح جانب الحرب الوقائية . فلو اخذ اي تهديد من طرف مأخذ الجد من الطرف الاخر يمكن ان يؤدي ذلك الى توجيه ضربة وقائية توجه مباشرة الى قوات الردع المقابلة . وفي مثل هذه الحالة ايضا يصبح الدفاع بالنسبة للطرفين هو الحل الامثل ومن ثم تفقد قوة الردع قيمتها كوسيلة سياسية اذ لا يمكن استخدامها كوسيلة رادعة .

ويختلف الوضع اذا واجهت قوة انتقامية محصنة قوة اخرى غير محصنة اذ يكون النصر في جانب القوة الاولى حتى لو تعرضت لهجوم مفاجيء .

اما في الوضع الحالي حيث الطرفان في حالة محصنة فان ذلك ينتج عن حالة جمود بغض النظر عمن ينوي الهجوم على الاخر ذلك لانه اصبح في مقدور كل طرف ان يوقع بالطرف الاخر قدرا غير محتمل من التدمير وهنا ينعدم الحافز لتوجيه ضربة (٢٣) فجائية او وقائية .

والوضع المحصن المتبادل معناه ردع متبادل . وهو اكثر الاوضاع تحقيقا الاستقرار من ناحية منع الحرب الشاملة **ولكنه في نفس الوقت اقل الاوضاع تحقيقا على الاستقرار بالنسبة لمنع حرب محدودة** لان العدو يعتقد ان موقف التحصين المتبادل يعني ان الحرب الشاملة هي انتحار متبادل ولا يوجد رئيس امريكي يمكنه ان يقدم على هذا الاجراء ضد مواجهات محدودة يقوم بها الخصم هنا وهناك .

ولا بد ان نضع في تقديرنا ان حالة عدم التعرض المتبادل (٢٤) هذه ليها صفة الدوام حتى بعد تلاشي فجوة الصواريخ . وحالة عدم التعرض سوف تغير من مفهوم الردع تغييرا شاملا اذ يحتاج الردع كما سبق ان ذكرنا الى الاتي :

أ ـ ان يكون التصميم على تنفيذ التهديد بالردع صادقا بما فيه الكفاية

(٢٣) هذا ينطبق تماما على الحروب التقليدية .

(٢٤) يجب ان نؤكد على مفهوم « عدم التعرض » وهي حالة الحماية التي توجد فيها القوات الرادعة والتي تمكنها من تحمل ضربة اولى موجهة اليها والقيام بضربة ثانية انتقامية .

بحيث لا يؤخذ على انه مجرد « تهويش » .

ب ـ ان يقتنع الخصم بالتصميم الاكيد على المقاومة لضغوطه وتهديداته .

جـ ـ ان يكون العدو عاقلا بمعنى ان تتصف تصرفاته بالاتزان .

د ـ ان يقدر الخصم ان خسائر العدوان تفوق فوائده . وهذا ما يهدف اليه الردع .

وهذه العوامل يمكن تحقيقها في ظل سياسة التهديد بشن حرب شاملة، او في ظل استراتيجية الردع الشامل . وان استمرت حالة عدم التعرض قائمة فان السياسة الامريكية ستجد نفسها في ورطة حقيقية . **ذلك لانه كان يظن ان امام العدو اختيارين لا ثالث لهما : اما ان يهجم او لا يهجم . ولكن هذا التصور يتجاهل اختيارات اخرى يمارسها الخصم في مجال الصراع العالمي اذ انه يقوم باعمال محدودة تجعل من الحماقة الرد عليها ردا شاملا . وهذا عمل ابتزازي يقوم به العدو ويترك الولايات المتحدة بعد ذلك اتخاذ الخطوة التالية وهو اختيار صعب للغاية .** فالتهديد المحدود تم وحدث . ولا بد من الرد . ولكن ان يكون الرد شاملا لمواجهة هذا التهديد المحدود امر يتسم بالحماقة . وهنا يختل التوازن النفسي للمدافع اذا كان اختياره الوحيد هو شن الحرب الشاملة دون اي اختيار اخر معقول يمكن تنفيذه ويكون مصدقا في الوقت نفسه من العدو . وهذا ما قام به الاتحاد السوفييتي في ازمة برلين ثم عاد يكرره في ازمة كوبا ثم الكونغو : سياسة عمادها توريط الغرب في بدائله ، اما ان يصل معه الى اتفاق او عليه خوض مغامرة مجهولة لا يمكن الاقدام عليها في واقع الحال .

ولنتصور مدى الازمة النفسية التي يمر بها المدافع في ظل غياب الخيارات المعقولة . علينا ان نقدر مدى الصعوبة التي تواجهنا عند رسم حد فاصل بين القضايا التي تهدد الوجود تهديدا مباشرا آنيا وبين تلك التي تهدده مرحليا. والفرق في الواقع فرق ضئيل قد لا يمكن تمييزه بسهولة في اختيارات الاعصاب هذه . فان كانت الدول في الماضي تقاوم العدوان المحدود وتتصدى له باستخدام القوة لمنع التدمير الشامل الذي يهدد وجودها فان هذا الامر يصبح مستحيلا في ظل القوة النووية لان مجرد التصدي للعدوان المحدود باستخدام القوة الذرية فيه بداية النهاية وليس من المعقول ان يقدم المرء على الانتحار لتفادي الموت . وفي مثل هذه الاعتداءات المحدودة يجد رئيس هيئة اركان الحرب المشتركة نفسه في ورطة . اذ ما هي النصيحة التي يمكنه ان يتقدم بها لرئيس الولايات المتحدة ازاء موقف ليست الحرب فيه اداة للنصر ولكنها وسيلة لانتحار الطرفين ؟ والسبب الوحيد في هذه الورطة يتمثل في

ان الولايات المتحدة الامريكية تقع تحت تأثير وهم خاطىء بأن اي هجوم يوجه ضد قواتها الرادعة يكون رده الوحيد هو الردع الشامل مما ادى الى اعتمادها في بناء قوات الردع على عاملين : الرد السريع ، والسيطرة المركزية الكاملة على قرار الردع والاجراء الاول حيوي لرد العدوان . والاجراء الثاني ضروري لتجنب مخاطر الوقوع في اخطاء تقودنا الى حروب عفوية. وفي ظل هذين العاملين يتصور كيسنجر موقفا عمليا يمكن ان تواجهه الولايات المتحدة الامريكية . فبفرض ان العدو وجه ضربة ضد القوات الرادعة الامريكية واحدث بها خسائر تصل الى ٥٠ ٪ من قوتها ، ولكن الخسائرالمدنية كانت طفيفة ، وبفرض انه بعد ان يحقق العدو ذلك يتقدم السفير السوفييتي بانذار لرئيس الولايات المتحدة يحمل المعاني الاتية « لقد دمرنا ٥٠ ٪ من قواتكم الرادعة ، وقد تجنبنا ضرب المدن ، فاذا وجهتم ضربة مضادة ضد تجمعاتنا المدنية فاننا سنرد بطريقة تحدث خسائر في تجمعاتكم المدنية بنفس النسبة التي حدثت في قواتكم الرادعة ، واننا نعرض بذلك حلولا سلمية بشروط محددة » .

واذا التزم رئيس الولايات المتحدة جانب العقل فانه لن يرد اذا كانت سياسته مبنية على اساس الردع المحدود لانها ان تمكنت من احداث خسائر في التجمعات المدنية للاتحاد السوفييتي فان الخسائر ستكون اكبر في الولايات المتحدة نظرا لتكدس تجمعاتها وهنا يحجم صانع القرار عن اصدار قراره .

وهنا يعترض البعض على سياسة الردع المحدود التي تصل في نهايتها الى التردد في الاقدام على الردع . والبديل الحتمي لذلك هو ان يكون الرد على اي عدوان اوتوماتيكيا بمجرد قيام العدو بهجومه وذلك يمكن تحقيقه بمجرد الضغط على الازرار . وهذا يحقق ابطال عامل الابتزاز الذي يعتمد في حقيقته على السيطرة المفروضة بواسطة الرئيس اذ سيصبح الرئيس في هذه الحالة غير مسيطر على وسائل ردعه وبالتالي غير مسيطر على اصدار القرار. ولكن مثل هذا الزناد الاوتوماتيكي غير عملي من الناحية السياسية واللجوء اليه ما هو الا تعبير واضح على المأزق الذي تواجه سياسة الحرب الشاملة .

وكلما اتسعت الفجوة بين التهديد بالردع وبين الاستراتيجية الموضوعة كلما فقدت سياسة الحرب الشاملة تأثيرها .

ونصل بعد ذلك الى نتيجة واضحة وهي انه اذا لم يكن التهديد بالردع الشامل اداة فعالة اثناء فترة احتكار الولايات المتحدة للاسلحة الذرية فانه لن يصبح رادعا بالمثل في وقت عدم التعرض المتبادل ، وعلينا البحث عن اختيارات جديدة صالحة للصراع القائم . لان الحرب العالمية الاولى الشاملة قامت بسبب مشاكل فرعية ولم يفكر احد في اختيارات اخرى خلاف شن الحرب الشاملة

لمواجهة مثل هذه المشاكل وانها ستصبح مأساة حقيقية لو ان جيلنا اتبع نفس اسلوب تفكير اجداده اذ ان الخسائر سوف تكون اكثر فداحة .

ويستمر كيسنجر في نقده لسياسة الردع الشامل . فبعد ان اكد ان حالة عدم التعرض المتبادل لا تحقق الاستقرار وليست كفيلة في الوقت نفسه بمنع العدو من القيام بعدوانه نجده يتطرق الى نقطة اخرى يرددها اصحاب نظرية الحرب الشاملة وهي انهم يخشون قيام العدوان اذا تولدت عوامل الشك في قدرة الولايات المتحدة على الردع لدى العدو . حينئذ سوف يكون ذلك مدعاة الى قيامه بالهجوم عليها . الامر الذي يؤكد صحة نظرية الردع الشامل التي ستكون كفيلة بمنع تولد هذا الشك وان تم ذلك يصبح امر قيامه بالهجوم مستحيلا .

ولكن رغم وجاهة هذا الراي فان الواقع يكذبه . فحالة «عدم التأكد» هذه قائمة وفي ظلها قام « العدو » باشكال مختلفة من « العدوان » في كوريا وبرلين والكونغو وغيرها ولم يرتدع من استراتيجية الحرب الشاملة لان القرار السياسي في ظل هذه الاستراتيجية يجد نفسه امام ورطة حقيقية : اما تورط في حرب كالطوفان واما الاستسلام وبذلك فان العالم الحر ، يجد نفسه وقد فقد سيطرته على الاحداث واصبح واقعا تحت السيطرة الكاملة للابتزاز . ومثل ذلك كمثل « الابتزاز الاجرامي » الذي يعمل على اساس توجيه الشك ليعمل في صالح «المجرم» اذا كانت البدائل التي تواجه «الضحية» بدائل قائمة . فالقاتل لا يصبح لديه وازع للقتل في حالة حصوله على « الفدية » . والقتل في حد ذاته ليس بضمان للحصول على الفدية في الوقت الذي يعرض المجرم لعقوبة اشد اذا القي القبض عليه . ومع ذلك فان عائلة « الضحية » لا يمكنها ان تخاطر برفض التهديد على اساس ان المجرم غير جاد في تهديده . هذا الوضع يعطي المجرم مركزا مسيطرا في المساومة .

وبالمثل فان الدول التي تفضل بقاء الحالة الراهنة دون ما تغيير تحمل فوق كاهلها ثقلا نفسيا حيث ان دفاعها عن نفسها لا يتعدى كونه انتحارا .

اذن فالادعاء بان هناك شكلا واحدا للردع ـ وهو الردع الشامل ـ ادعاء يجب ان نجنبه . كما يجب ان نبطل المناقشات الدائرة التي تفاضل بين نظريتي الردع الشامل والردع المتدرج لانها اصبحت مناقشات عقيمة من جانب ولانه لم يصبح لنا بدائل توجب استمرار هذا النقاش فالاختيار الوحيد امامنا هو ان نطور انفسنا لنتواءم مع المتغيرات الجديدة اللهم الا اذا كنا نريد مواجهة الدمار الشامل .

فعلينا ان نبذل قصارى الجهد لحماية قواتنا الرادعة من جانب ولاعطاء سياستنا المرونة الكافية في ظل تنوع قدرات عسكرية متعددة من جانب آخر .

فنظرية الردع الشامل نظرية خاطئة غير عملية كبلت الاستراتيجية الامريكية بقيود جعلتها سجينة قوتها الذرية ، اذ كلما ازداد الرعب من استخدام الردع الشامل اصبح الاعتماد على مثل هذه السياسة نوعا من انواع العبث . وفي الوقت نفسه ستزداد الهوة بين صلاحية الردع وبين الاستراتيجية المستخدمة اتساعا .

فكل زيادة في التدمير الناتج من استخدام القوة الذرية يكون في الحقيقة على حساب صلاحية التهديد بالردع . وفي هذه الحلقة المفرغة يمكن ان يصبح الردع عديم القيمة . وهنا تقود سياسة الردع الشامل اما الى التسليم واما الى خوض حرب مدمرة .

ولذلك فقد اصبح من الضروري ان نتسق بين نوعية الردع وبين الاستراتيجية المراد اتباعها اذ كلما ازدادت الهوة بينهما اتساعا ازدادت الفرصة امام الاتحاد السوفييتي لمواصلة سياسة الابتزاز وازداد تعرض دول « العالم الحر » لضغوط الاتحاد السوفييتي .

وفي عصر الصواريخ فان الجانب الذي يمكنه ان يضيف نوعا اخر من القوة دون الاعتماد على الحرب الشاملة سيحقق ميزة حاسمة على الخصم الذي ليس امامه الا اختيار وحيد يتمثل في الردع الشامل . فمرونة الدبلوماسية تحتاج الى اكبر عدد ممكن من درجات التصعيد بين التسليم والقوة التي لا تقهر .

فطالما فقد الردع الشامل قيمته فانه اصبح من اللازم ان نتفق على طريقة نردع بها « العدوان السوفييتي » بقوات تتناسب مع درجاته وانواعه . هذه الطريقة تتمثل في الحرب المحدودة . فاذا امكن تجهيز قوات كامنة لشن الحروب المحدودة وامكن في الوقت نفسه توفير الحماية بحيث تصبح غير معرضة فان العدو لن يتمكن من الاستفادة من اي صدام يقوم به سواء كان صداما محدودا او صداما شاملا . وهنا يمكن ان نقفل امامه ابواب العمل العسكري بانواعه المختلفة .

الحرب المحدودة

قد تشجع قلة المخاطرات التي يتعرض لها العدو في ظل الحرب المحدودة عنها في ظل الحرب الشاملة على قيامه بالعدوان . ولكن يعوض قلة المخاطرات التي يتعرض لها العدو في ظل السياسة المقترحة انها سياسة مصدقة بمعنى انه لا يعتريها ادنى شك في تنفيذها . وعلى ذلك فان استراتيجية الحرب المحدودة تحقق الردع لا عن طريق التهديد بالتدمير ولكن عن طريق حرمان العدو من استخدام قدراته للحصول على الفرض .

فالتهديد بقوة معقولة يمكن استخدامها اعظم اثرا من التهديد بقوة هائلة لا يمكن استخدامها . وهذا هو السر الكامن في تفضيل الحروب المحدودة على الحروب الشاملة .

ولكن ما هو الضمان الذي يمنع تصاعد الحرب المحدودة لتصبح حربا شاملة خاصة وانه من الطبيعي الا يستسلم اي جانب الا اذا استخدم كل ما هو مخزون في ترسانته من اسلحة مدمرة ؟ لا يمكننا ان نظل اسرى هذا الخوف لو اننا فهمنا ما تهدف اليه استراتيجية الحرب المحدودة . فهي تهدف الى :

أ ـ تقوية الردع بحيث يمنع حدوث العدوان اصلا .

ب ـ واذا فشل الردع في تأدية اغراضه فانه يفتح الطريق امام تسوية سلمية قبل ان تتدخل قوى الردع تدخلا ايجابيا .

فأسوأ سياسة يمكن اتباعها هي محاولة فهم الحرب المحدودة بنفس الافكار السائدة. فالتأكيد يكون لكل جانب في ظل الحرب المحدودة القدرة الفنية لتوسيعها وتصعيدها . الا ان الخوف من ذلك هو الذي يضمن تقييد الحرب علاوة على ان الحرب المحدودة تبنى اساسا على مساومة محسوبة لا تتعدى حدودا معينة . فرغبة احد الطرفين في الحد من الحرب لا قيمة لها الا اذا قابل ذلك رغبة مماثلة من الجانب الاخر . فالحرب المحدودة اذن رغبة مزدوجة او لا بد ان تكون كذلك . والا انتفى الغرض من وجودها (٢٥) .

وكلما عملنا على زيادة حجم قواتنا الملائمة للحرب المحدودة قام العدو بجهد مماثل . وكلما ازداد حجم الصدام اللازم للحصول على النصر واقترب من الحرب الشاملة ازدادت الرغبة في تخفيف آثار العدوان . وبهذا تصبح زيادة قوة القوات الرادعة ضرورة من ضرورات الحرب المحدودة .

والمخاطرة في ان تصبح الحرب شاملة يضع في حد ذاته عدة قيود على مدى الحرب واستمرارها فاذا رغب الطرفان في حرب شاملة فانه من الحماقة بدئها على شكل صدام محلي محدود لان في ذلك انذارا للجانب الاخر . ومعنى ذلك ان مجرد قيام الحرب المحدودة يكون بمثابة اشارة للجانب الآخر في التأكيد على الرغبة في عدم التصعيد . وقد دلت التجارب على انه عادة ما يكون كلا الطرفين على استعداد لاعطاء تنازلات تحقق بعضا من اهداف الجانب الآخر .

---

(٢٥) يرد هنري كيسنجر هنا على النظرية الروسية التي ترد على نظرية « الحرب المحدودة » بقولها في صيغة التهديد « ومن يضمن انها ستظل محدودة ؟ »

ورغما عن كل ذلك فان خطر تصعيد الحرب المحدودة لتصبح شاملة ما زال قائما ما لم يفهم كل طرف اهداف الطرف الآخر تماما . وهذا يحتاج الى وجود وسائل اتصال مستمرة بين الجانبين واكثر من ذلك رغبة متعادلة بينهما للتعاون . فبدون هذه الرغبة المشتركة لا يمكن ضمان استمرار الحرب في نطاقها المقيد .

كما يجب الا نعامل الحرب المحدودة على انها مشكلة استراتيجية بل يجب معاملتها على انها تتيح الفرصة للتوقف لبدء المفاوضات وهي بذلك محاولة طبيعية لنتجنب بها التصادم الشامل . فان نحن اشتركنا في حرب محدودة علينا ان نكون على استعداد للتفاوض للوصول الى حل متخلين بذلك عن الشعار المشهور وهو « ضرورة الحصول على النصر الشامل » (٢٦) .

ولا يجوز ان يذهب بنا التفاؤل الى ان الحرب المحدودة فيها حل لكل المشاكل وانها تؤدي بطريقة آلية الى السلام ولكن لا بد وان نقيمها على اساس انها تعطي مجرد احتمال لتجنب الويلات والمصائب وهي تحقق الردع بطريقة معتدلة ثم فانها ان لم تنجح في ذلك تعطي فرصة اضافية للجانبين لمنع الكارثة التي قد يترددون فيها .

فالحرب المحدودة اذن هي الاختيار المعقول بين الاختيارات الاخرى . فهي ليست اختيارا يحقق السلام ولكنه اختيار وسط بين الانتحار الذي يتمثل في الحرب الشاملة وبين التسليم الذي يترتب على عدم امكانية ممارستها . وهي تحتاج الى مهارة نفسية وسياسية وعسكرية مما يجعلها سياسة معقدة عند الممارسة ولكن لا حيلة لنا في اتباعها في عصر تغيرت فيه الامور واصبحت معتقدات جيل سابق بمثابة قيود على معتقدات جيل لاحق .

ولكن ما هو تصور كيسنجر لهذه الحرب المحدودة ؟

أ ـ ان الحرب المحدودة ليست بديلا للرد الشامل . وانما هي مكملة له . فالقدرة على الرد الشامل تحول دون توسيع نطاق الحرب (٢٧) .

ب ـ والحرب المحدودة لا ينبغي ان تكون محدودة اكثر من اللازم ، كما

---

(٢٦) هذا هو لب نظرية الدكتور هنري كيسنجر استاذ علم « الصراع الدولي » في هارفارد والذي حاول تطبيقه حينما اصبحت مقاليد امور السياسة الخارجية الامريكية في يده سواء حينما كان مستشارا للرئيس الامريكي لشئون الامن القومي او وزيرا للخارجية . وقد طبق ذلك في فيتنام والشرق الاوسط قبل واثناء وبعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ .

(٢٧) كتابه : الاسلحة النووية والسياسة الخارجية .

حدث في الحرب الكورية (٢٨) .

ج ــ وتستخدم الحرب المحدودة ضد الدول غير النووية « ففي هذا النوع من الحروب المشابه لدور الشرطي ضد دولة صغرى غير نووية او لمساندة جانب يخوض حربا اهلية ــ قد يكون استخدام الاسلحة النووية غير ضروري وغير حكيم . ان مشكلة الحرب النووية المحدودة تنشأ في الاصل حين يحتدم الصراع ضد دولة نووية او ضد دولة كبرى ذات قوى بشرية هائلة (٢٩) لا يمكن قهرها بواسطة تكنولوجية الحرب التقليدية (٣٠) .

د ــ واذا كان من اللازم استخدام الاسلحة النووية في الحرب المحدودة فلا بد ان يتم ذلك في وقت مبكر (٣١) .

هـ ــ ولن يتم الردع الا بابتكار سلسلة من القدرات المتدرجة في تأثيرها لمقاومة التحديات السوفييتية ولا بد لهذه القدرات ان تمكن من مواجهة الخصم بقوة الطوارىء التي اعددناها والتي لا يمكنه ان يتفادى تأثيرها الا اذا خاض حربا شاملة . وفي الوقت نفسه علينا ان نمنعه من اتخاذ هذه الخطوة بواسطة التفوق في قوة الردع .

و ــ والحرب المحدودة لا تتطلب فقط قوة عسكرية ذات تدرج فعال ، وانما تتطلب دبلوماسية تستطيع ان تحول دون اعتبار الصراع بمثابة مقدمة لمجابهة شاملة مكشوفة علما بانه ليس في مقدورنا فرض استراتيجية الحرب المحدودة الا اذا ازلنا كل شك من ذهن الخصم عن قدرتنا واستعدادنا لخوض مواجهة شاملة مكشوفة .

ز ــ وعلى ذلك فيجب خوض الحرب المحدودة باستخدام قدر متدرج من التدمير على التوالي مع اتاحة متسع من فترات التقاط الانفاس تسمح باجراء اتصالات سياسية فليس الغرض من مثل هذه الحروب توجيه سلسلة من الضربات المتلاحقة لتحطيم ارادة العدو بل على العكس من ذلك يجب تطوير العمليات العسكرية لتدار على مراحل تسمح بتقدير مخاطر التسوية وامكانياتها في كل مرحلة قبل مباشرة المرحلة التالية فاذا لم يقم العدو باعادة حساباته بشكل مناسب فالجولة القادمة سوف توجه له ضربة اقسى تبعا لمبدأ التدرج في استخدام القوة . اذن فمن الواجب مقابلة مستويات قوات العدو بمستويات

(٢٨) كتابه ضرورة الاختيار

(٢٩) توحيد الصين الشعبية .

(٣٠) كتابه الاسلحة النووية والسياسة الخارجية .

(٣١) كتابه الشراكة المضطربة واعادة تقييم معاهدة الاطلسي .

تعادلها او تتجاوزها وفي حالة تعادل القوات التقليدية فلن يميل ميزان القوى لصالحنا الا باستخدام الاسلحة الذرية المحدودة .

ح ــ ثم لا بد من فتح قنوات الاتصال بالجانب الآخر لا لاخطاره بنوايانا فحسب بل باخطاره باستراتيجيتنا العامة حتى يكون الامر واضحا اثناء تطور عملية القتال والتفاوض بطريقة متعاقبة . وهناك ثلاث ضرورات لتحقيق حرب محدودة الفائدة التي نرجوها منها :

(١) قدرة القوة المخصصة للحرب المحدودة على منع العدو من القيام بعدوانه بغية اقرار الامر الواقع .

(٢) قدرة القوة المخصصة للحرب المحدودة على اقناع العدو بأن استخدامها بينما يهدد بمخاطرة حرب شاملة الا انه ليس مقدمة لها .

(٣) تسير الحرب المحدودة جنبا الى جنب مع دبلوماسية ماهرة ، على اساس ان الحرب الشاملة ليست هي الرد الوحيد على العدوان وان هناك نية للتفاوض من اجل تسوية لا ينجم عنها التسليم غير المشروط .

وعلى ذلك ففي هذه السياسة ــ سياسة الحرب المحدودة ــ يكون من الخطأ الاعتماد على عوامل حربية بحتة لان اي تصادم معرض للانتشار بالتدريج ليصبح لهيبا مستعرا وعلى ذلك فلا بد ان تستفيد الدبلوماسية من الفترات التي يتوقف فيها القتال للوصول الى تسوية .

ولكن ما هي الصورة التي تأخذها هذه الحرب المحدودة او التصعيد المتدرج ؟ قد يكون ذلك على احد الصور الاربع التالية : الردع المتصاعد ، الردع غير المباشر ، حرب العصابات ، الدفاع المحلي . وكل هذه الطرق صالحة لمواجهة العدوان دون الحاجة الى الحرب الشاملة ، ولكل منها فوائده لردع العدوان ، ولتهيئة بدائل واختيارات تجنبا للحرب الشاملة . الا ان تأثيرها على الدبلوماسية والردع والاستراتيجية يختلف .

ا ــ الردع المتصاعد : وتعني استخدام قوة الردع لتحقيق اغراض ليس من بينها مواجهة الحرب الشاملة وذلك بمقاومة العدوان بطرق لا ترقى الى هذا الحد . وهي بذلك تسعى الى تحقيق ميزة حربية لا ترقى الى القيام بالضربة الشاملة . فمثلا اذا هاجم « العدو » ايران يمكن ان تعلن الولايات المتحدة انها سوف تدمر مدنا او منشئات معينة كل اسبوع داخل الاتحاد السوفييتي . وسوف تستمر في ذلك حتى تنسحب قواته خلف الحدود الايرانية . وعلى حسب نظرية الردع المحدود فان العدو لا بد وان يمتثل اذا كانت قيمة الخسائر

المتوقعة من الردع تفوق قيمة الفرض .

ولكن هناك نقاط ضعف عند استخدام هذه السياسة . اذ كيف نقنع العدو باستخدامنا لهذه السياسة باننا لا نسعى الى ضربة شاملة ؟ ثم هذه السياسة لا تحمي الضحية ولا تمنع تعرض الولايات المتحدة ولا هي تحول دون خطر وقوع حرب شاملة . ولكي تكون هذه السياسة مؤثرة لا بد وان يقتنع العدو بانها سياسة قد تؤدي الى حرب شاملة واننا سنقدم على الحرب الشاملة ولن نقبل بالهزيمة . واذا فشل الغرض الاول قد يقوم العدو بضربة وقائية . واذا فشل الغرض الثاني قد يصعد العدو مواقعه في محاولة لاختبار قوة اعصابنا . وعلى هذا فان هذه الصورة غير صالحة للممارسة .

ب ـ **الردع غير المباشر** : واصحاب هذه النظرية يقولون ان الهجوم على اراضي الاتحاد السوفييتي او مناطق نفوذه هجوما مباشرا فيه مخاطرة كبرى . وعلى ذلك فيجب تجنب ذلك . فان هاجم الاتحاد السوفييتي ايران يكون الرد هو قفلنا للدردنيل مستغلين اوضاعنا الاستراتيجية الممتازة وقوة سلاحنا البحري . الا ان هذا الاجراء سوف يستغرق وقتا طويلا لكي يحقق نتائجه وتكون الضحية قد وقعت في قبضة اليد وهنا قد يعرض علينا الاتحاد السوفييتي الاعتراف بالحقائق الجديدة . وظاهر ان هذه الصورة لا تحل المشكلة .

ج ـ **حرب العصابات** : ويدعو اصحاب هذه النظرية الى ضرورة تنظيم المدنيين في جماعات لحرب العصابات لجر السوفييت الى حرب طويلة تستنزف موارده . الا ان هذا الحل يبسط المشكلة اكثر من اللازم لان حرب العصابات ان كانت صالحة من الناحية الاستراتيجية فانها غير صالحة كوسيلة للردع .

ثم ان حرب العصابات اكثر ملاءمة في المجتمعات البدائية عنها في المجتمعات الحضارية ثم انها تحتاج الى اراض صالحة تتفق وطبيعتها مثل يوغوسلافيا او الجزائر كما تحتاج الى عدد كبير من السكان مثل الصين او اتساع في الرقعة كروسيا . وفوق ذلك فانها تحتاج الى مساعدات خارجية .

وكما استبعد هنري كيسنجر الوسيلتين السابقتين استبعد هذه الوسيلة ايضا .

د ـ **الدفاع المحلي** : اساس الردع هو مقاومة الامر الواقع ولمنع الامر الواقع لا بد من عمل دفاعات محلية في كل انحاء « العالم الحر » . وان تحقق الامر الواقع فلا تهدف الاستراتيجية حينئذ الى حمل المعتدي على ترك عدوانه فحسب بل اجباره على الانسحاب . فعند مقاومة الاحتلال على المدافع ان يوازن بين

الاستمرار في القتال او الاستسلام . وفي الحالة الاخيرة عليه ان يطلب السلام عن طريق تسوية اساسها الوضع الراهن الجديد .

ويحبذ كيسنجر هذا التصور اذ عن طريقه يمكنه منع حدوث الامر الواقع . فاذا كان من المتعذر حماية المناطق المهددة من احتلالها بواسطة العدو فان الخطر السوفييتي سوف يتزايد بصفة دائمة . وعدم القدرة على الدفاع عن كل المناطق ليس عذرا للتقصير في الدفاع عن الاماكن التي تدخل في قدرتنا . والغرض الادنى للدفاع المحلي هو الحيلولة دون تحقيق العدو لانتصارات رخيصة . والدفاع المحلي يزيد من مرونة السياسة وهي احدى المتطلبات اللازمة اثناء اجراء المفاوضات مثل مفاوضات الحد من الاسلحة الذرية . اذ لو استمرت الدفاعات المحلية على ضعفها فانه لن يكون هناك دافع للاتحاد السوفييتي للتجاوب في هذه المفاوضات او غيرها .

ولكي نحصر المناقشة الدائرة حتى الان نحدد النتائج التي وصل اليها كيسنجر في الاتي :

(١) حالة عدم التعرض ، التي اصبحت فيها كل من الدولتين الاعظم ،جعلت كلاهما عرضة للتدمير اذ ان هذه الحالة حققت لكل منهما القدرة على الضربة الثانية .

(٢) هذا الوضع جعل الاعتماد على سياسة الردع الشامل في حالة حدوث عدوان على اي مستوى سياسة غير عملية اذ انها غير مضمونة النتائج من جانب ولا يمكن الاقدام عليها في حالة التصادمات المحلية البسيطة من جانب آخر .

(٣) هناك عدة بدائل اهمها سياسة الحرب المحدودة كوسيلة من وسائل الردع على ان تتخلل هذه الحروب فترات تستغل في المفاوضات للوصول الى حل وسط .

(٤) وتصحب هذه السياسة :

- **تجهيز القوة الرادعة الذرية الكافية وغير المعرضة التي يمكنها ان تتفادى التأثير القاتل للضربة الاولى ويكون لديها في الوقت نفسه القدرة على توجيه ضربة ثانية مدمرة .**

- **تقوية القطاعات المحلية كنوع من انواع الردع**

حرب محدودة بأسلحة ذرية
او بأسلحة تقليدية

اذا كان كيسنجر قد انتهى الى الخلاصة السابقة فانه يبدأ في مناقشة موضوع على جانب كبير من الاهمية وهو هل يكون خوض الحرب المحدودة بأسلحة ذرية او بأسلحة تقليدية ؟

وبادىء ذي بدء فان هناك قاعدة لا شك فيها ، وهي ان اي حرب تقليدية بين دولتين نوويتين يمكن ان تنقلب الى حرب ذرية طالما يمتلك الطرفان هذه الاسلحة . ومعنى ذلك ان كل حرب تقليدية تجري تحت ظل مظلة نووية ، ويصبح من الحتمي طالما الحال كذلك ان نستعد لمثل هذه الحرب كوسيلة لتجنبها .

وهناك مدرستان : مدرسة تنادي باستخدام الاسلحة الذرية في الحروب المحدودة ، ومدرسة اخرى ترى الاقتصار على الاسلحة التقليدية في مثل هذه الحروب .

فانصار استخدام الاسلحة الذرية في الحروب المحدودة يقولون :
لا شك ان الاتحاد السوفييتي يتفوق في القوة البشرية ولا سبيل امام الغرب لمواجهة هذا التفوق الا باللجوء الى تميزه في الناحية التكنولوجية ، اي باستخدام الاسلحة الذرية . اذ ان استخدام هذه الاسلحة سيجبر قوات العدو على الانتشار وبذلك يحرم العدو من حشد قواته في قطاع معين تمهيدا لاختراقه .

ولكن استخدام الاسلحة الذرية في ميدان القتال لا بد وان يغير من التكتيكات التي كانت مستخدمة في الحرب العالمية الثانية . اذ ان استخدام الاسلحة الذرية سوف ينتج عنه تدمير ماحق لمنطقة القتال ، الامر الذي يوجب استخدام تشكيلات اصغر حجما فالامر لا يحتاج الى قوة نيران التشكيلات الكبيرة . وحشد القوات المهاجمة معناه تدميرها بالاسلحة الذرية المضادة . وبدلا من ذلك يحتاج الامر الى خفة حركة القوات وتبسيط شئونها الادارية . وعلى ذلك فالتركيز يكون على قوات صغيرة خفيفة الحركة ذات اكتفاء ذاتي مما يقلل نسبة الخسائر حتى عن تلك التي حدثت في الحرب العالمية الثانية حيث كان الامر يقتصر على استخدام الاسلحة التقليدية .

وعلى ذلك تتميز الاستراتيجية الذرية بالاتي :

(١) حتمية انتشار القوات سيفرق بين متطلبات النصر ومتطلبات السيطرة على الارض . فالقوات اصغر حجما وذات خفة حركة اكبر والسيطرة على الارض تحتاج الى تجمعات اكبر خاصة في المناطق الحيوية .

(٢) الحرب الذرية ستقلب حسابات العدو رأسا على عقب . فهي حرب لم يعتمدها العدو ، اذ لا تتعدى خبرته في هذا المجال الناحية النظرية فحسب .

(٣) ستخفف من قبضة السوفييت على البلاد التي تدور في فلكه ، اذ انه سيتحتم عليه ان يقلل من حجم قوات الاحتلال . ومن ثم تصبح هذه عرضة لحرب العصابات وينجم عن ذلك مشاكل سياسية تعمل في حد ذاتها كوسيلة ردع حاسمة .

(٤) حرماننا من استخدام الاسلحة الذرية هو حرمان لنا من استغلال تفوقنا التكنولوجي والصناعي .

(٥) طالما يمتلك العدو اسلحة ذرية فلا بد ان نسلح قواتنا الميدانية بأسلحة ذرية وهذا افضل من ان يكون لدينا قوة ميدانية مسلحة بأسلحة تقليدية وقوة ردع ذرية محمية جيدا . اذ يضع ذلك مسئوليات ضخمة على كاهلنا علاوة على ما به من اسراف في استخدام القوة البشرية .

اما انصار قصر استخدام الاسلحة التقليدية في الحروب المحدودة فيقولون:
ان مجرد استخدام الاسلحة الذرية لا يتمشى مع طبيعة الحرب المحدودة لانه اذا كان من الصعب جعل الحروب التقليدية محدودة فكيف يكون عليه الحال عند استخدام الاسلحة الذرية ؟؟

واذا كانت السيطرة على الحروب الذرية المحدودة امرا صعبا للغاية فان الخسائر الناجمة عنها ستكون ضخمة . فالقوات الصغيرة المسلحة باسلحة ذرية مهما كان حجمها ستصبح عرضة للتدمير وللهزيمة بواسطة القوات التقليدية. ثم من يقول ان الاسلحة الذرية هي بديل عن القوة البشرية ؟ والواقع يؤيد عكس ذلك نظرا لكبر خسائر الحرب الذرية ستكون الحاجة ماسة بطريقة اكبر لقوة بشرية اكبر وليس كما يظنون . بل فان استخدام الاسلحة الذرية يعطي ميزة للدول المتأخرة عن الدول الصناعية التي ستتكبد خسائر اكبر لو وجهت الدول المتأخرة ضرباتها الى المراكز الصناعية . واذا تقرر استخدام الاسلحة الذرية في الحروب المحدودة فواجب على الولايات المتحدة ان تعدل سياستها الدفاعية الى سياسة هجومية لان استخدام الاسلحة الذرية يعطي ميزة كبرى للمهاجم .

ويلخص اصحاب هذه المدرسة مزاياها في الاتي :

(١) تعطي فرصة اكبر لتحديد الحرب .

(٢) تستثمر التفوق الصناعي للولايات المتحدة الى اكبر حد .

(٣) بطء العمليات التقليدية يعطي الفرصة للحلول السياسية .

(٤) الدفاع التقليدي هو افضل وسيلة للدفاع ضد الاحتلال .

(٥) لما كانت سياسة الولايات المتحدة دفاعية فان اعلان حرب ذرية سوف يترك للاتحاد السوفييتي . وفي هذا خطر كامل على الامن .

وبدأ كيسنجر في التعليق على رأي المدرستين فيذكر ان كلاهما ابرز الاتجاهات الاخلاقية للمتحاربين ، الامر الذي يحجب الناحية الموضوعية . فهؤلاء الذين يظنون ان في عدم استخدام الاسلحة الذرية اعتداء على التقدم ليسوا بأقل مغالاة من هؤلاء الذين يظنون ان مجرد التفكير في الحرب النووية هو اعتداء على الاخلاق .

وكل من التفكيرين تجاهل ان الموضوع لا يتعلق ابدا بنوع السلاح المستخدم بقدر ما يتعلق فعلا بحجم الغرض الذي يحدث من اجله الصراع (٣٢) .

وبالرغم من ان لكل من المدرستين جانبا من الحق فيما يقول يجب ان نلاحظ ان اعطاء وزن اكبر من اللازم للتدمير قد يؤثر في الارادة عند التطبيق بينما اعطاء وزن اكبر لاستراتيجية معتدلة لارادة الحرب ربما يقلل من خطرها للدرجة التي تشجع على وقوعها . ولذلك فانه يجب ان يكون التهديد بالردع معقولا للدرجة التي لا يكون في مقدور العدو تحمل عقوباتها . فالحل الذي يزيد الشك عند العدو عن طبيعة الصدام يقلل من احتمال وقوع العدوان .

وبعد هذا النقاش يمهد هنري كيسنجر الى تحديد رايه في القضية المطروحة بان يذكر بعض المؤثرات الهامة التي يجب ان توضع موضع الاعتبار :

أ – هناك خلاف في المؤسسة العسكرية الامريكية عن طبيعة الحرب الذرية المحدودة اذ من الصعب الوصول الى تصور دقيق لها . فبينما ترى القوة الجوية ان معناها ينحصر في السيطرة على مجال جوي محدود ترى القوات البرية انها تعني مجرد تدمير اغراض تكتيكية تؤثر على سير العمليات الحربية مثل عقد المواصلات وفي نفس الوقت تراها القوات البحرية على انها تعني تدمير موانىء العدو .

ب – وهناك خلاف بين الولايات المتحدة وبين حلفائها على مفهوم الحرب

---

(٣٢) بعض مهاجمي كيسنجر يتهمون مثل هذه السياسة بالمكيافيلية « فالغاية تبرر الوسيلة » ويريد في الوقت نفسه ان يبعد العامل الاخلاقي عن ممارسة لعبة الصراع الدولي .

الذرية المقيدة . فقليل من الحلفاء يمتلكون السلاح الذري وبالرغم من ذلك فان الراي العام بين الحلفاء هو ضد استخدام الاسلحة الذرية .

جـ – زيادة المخزون من الاسلحة الذرية لدى الاتحاد السوفييتي وزيادة صواريخه بعيدة المدى في نفس الوقت . وهذا خلق موقفا متغيرا للغاية . فحينما كانت الطائرة هي الوسيلة الوحيدة لاطلاق الاسلحة الذرية كانت السيطرة الجوية فوق مسرح العمليات تعتبر ذات اهمية قصوى واصبحت المهارة في استخدام الاسلحة الذرية في منطقة القتال محققة للنصر . ولكن بعد تطور الصواريخ متوسطة المدى تغير كل ذلك فلم يعد من الضروري وجود قوات ذرية في مناطق القتال . وبدلا من تحقيق السيطرة الجوية بالمعنى السابق اصبح تحقيقها يتم عن طريق ضرب قواعد الصواريخ المعادية وهذا ضد تقييد الحرب خاصة اذا كان وضع هذه الصواريخ في اماكن حساسة .

د – تأثير مفاوضات الحد من الاسلحة الاستراتيجية على طبيعة العمليات. اذ انه اذا استمرت الرغبة الحالية في تقييد هذه الاسلحة فان هذا الاتجاه يصبح عاملا مضادا لاستخدام الاسلحة الذرية في الحرب المحدودة . اذ ستعمل العوامل السياسية على القضاء على كل اتجاه عسكري محبذ استخدام الاسلحة الذرية. وستضع العالم الحر في موقف صعب للغاية ان هو استمر في اعتماده على الاستراتيجية الذرية . فكلما ازدادت الضغوط ضد استخدام هذه الاسلحة ازدادت الثغرة بين سياستنا في الردع وقدرتنا الحربية واستعدادنا النفسي . وهذه الثغرة قد تشجع العدوان ولا علاج لذلك الا بتقوية القوات التقليدية للعالم الحر .

هذه المؤثرات جميعا تقود هنري كيسنجر الى المناداة بتقوية القوات التقليدية للدرجة التي يصبح فيها الدفاع باستخدام الاسلحة الذرية مجرد احد الاختيارات وليس الاختيار الوحيد . وانسب وضع نصل اليه هو ان تصبح قواتنا التقليدية لا يمكن التغلب عليها الا باستخدام الاسلحة الذرية . ولا يوجد اي سبب تكنولوجي يمنع من الوصول الى هذا الوضع الذي ان تحقق اكسب الدبلوماسية مرونة تفتقر اليها ويعمل في الوقت نفسه على زيادة ثقتنا في مفاوضات نزع السلاح .

ويجب ان نسقط من حسابنا ما يقال عن تفوق السوفييت في القوة البشرية . فما زال « العالم الحر » يتفوق في القوة البشرية الى جانب تفوقه في القاعدة الصناعية .

ان الاعتماد اساسا على الحرب التقليدية المحدودة هو الحل للمشكلة اذ ان امكانية تقييدها اكثر احتمالا من امكانية تقييد الحرب الذرية المحدودة وذلك يرجع

الى افتقار الطرفين الى الخبرة العملية في استخدام الاسلحة الذرية التكتيكية مما يفسح المجال لاحتمال الخطأ في التقدير . فقد تفوق سرعة تطور العمليات امكانية التوقف للتفاوض وهنا سيجد كل جانب نفسه وهو يعمل في الظلام . فالخط الفاصل بين الحرب التقليدية والحرب الذرية اكثر وضوحا منه بين الحرب الذرية التكتيكية والحرب الذرية الشاملة .

ثم اخيرا نجد ان هذه السياسة اكثر تناسقا مع سياستنا الدفاعية التي نلتزم بها على الدوام .

وفي الوقت الذي لا بد وان تنال القوات التقليدية اهتمامنا الكامل لا يجوز ان نعتمد عليها اعتمادا كليا . بل لا بد من توافر قوة ردع ذرية لمواجهة المواقف ، ومعنى ذلك ان تعمل قواتنا التقليدية ذات الكفاءة الممتازة دائما تحت مظلة ذرية عمادها قوة ردع ذرية تمت حمايتها ضد اي تعرض .
وما لم يتم ذلك رضخت الولايات المتحدة الى ابتزاز يقوم به العدو .

ويجب ان نتذكر ان الحرب التقليدية افضل من الحرب الذرية . وان الحرب الذرية المحدودة افضل من الحرب الذرية الشاملة . وعلى ذلك فالقوات التقليدية لا تغني عن وجود قوات ذرية قادرة على خوض حرب ذرية محدودة اذ لا يمكن تقييد الحرب التقليدية الا اذا ظل احتمال استخدام الاسلحة الذرية قائما واستمر اعتباره امرا غير مرغوب فيه .

واذا اتفقنا على ضرورة تقوية القوات التقليدية وقوة الردع معا فان القوات التقليدية يجب ان تكون في حالة تعبئة دائمة . وليس كما كان الحال من قبل حيث كان يتم تعبئتها عند بداية الحرب وذلك ليمكنها مواجهة اي موقف في اي مكان .

ثم هناك من يقول بان القوات التقليدية يجب ان يكون في مقدورها خوض حرب تقليدية وذرية في نفس الوقت . الا ان كيسنجر يعترض على ذلك لانه امر غير عملي وان كان من اللازم ان تتدرب القوات التقليدية على النوعين لغرض وقاية نفسها ضد اي هجوم ذري . ولكن بمجرد الاشتباك في العمليات فعلى القوات ان تختار نوعا واحدا من الحروب اذ لا يمكن من الناحية العملية الانتقال من نوع الى آخر .

وهناك جانب اخر للقضية: فوجود الاسلحة الذرية معالقوات التقليدية يجعل من الصعب السيطرة على استخدامها . وهنا تنقلب الحرب من حرب تقليدية الى حرب ذرية ولا يمكن السيطرة على ذلك ابدا حتى لو اعطيت الاوامر المشددة بعدم استخدامها الا « كآخر وسيلة » . اذ من الذي يمكنه ان يحدد «آخر وسيلة» هذه

ونخلص من ذلك انه لا بد من وجود قوات مسلحة بأسلحة تقليدية واخرى مسلحة بأسلحة ذرية على ان تدرب القوتان بالتبادل على تخصيص الاخر ولكن بمجرد اشتراكها في القتال لا تعطي القوات التقليدية اسلحة ذرية والا هبطت قوات الردع لتصبح تحت سيطرة مستويات صغرى ليس من المصلحة ان تهبط اليها .

وان كنا وصلنا الى هذه النتيجة فمن الواجب اذن ان تشمل مفاوضات تحديد الاسلحة الذرية القوات التقليدية ايضا .

ويختم كيسنجر آراءه بنهاية حماسية يغلب عليها التشاؤم فيقول: ان العالم الغربي يمر الان بمحنة من جراء عجزه عن الوصول الى رسم فلسفة متفق عليها وبرنامج زمني قابل للتنفيذ ومن تأقلمه مع الافكار الثورية التي تحتمها التطورات التكنولوجية السريعة .

والصراع الفكري الدائر بين انصار الحرب الذرية الشاملة وانصار الحرب المحدودة لن يحل المشكلة الحقيقية التي تواجهها الولايات المتحدة والتي تنحصر في ان قواتها اصبحت عاجزة عن خوض اي من الحربين . فقوة الردع معرضة كما ان قواتنا عاجزة عن مواجهة الضغوط المحلية التي تظهر هنا وهناك .

واذا كان البعض يشيد بقواتنا الحالية مدللا على ذلك بتحركاتنا التي تمت اثناء ازمة لبنان (١٩٥٨) فان هذا اجراء ليس في محله . اذ اننا اضطررنا في ذلك الوقت الى سحب فرقتين من المانيا الغربية ووجهنا كل جهد قوتنا الاستراتيجية الجوية الى هناك . وبذلك اضعفنا اهم ميدان لنا بل انقصنا قوتنا الرادعة في اوروبا الى اقل حجم . وبذلك اصبحت قواتنا في لبنان بدورها مكشوفة ومعرضة لانها اصبحت تعمل دون حماية قوة رادعة يعتمد عليها في اوروبا .

والنقص الذي نعانيه لا يقتصر على قوتنا العسكرية ولكنه يمتد ليشمل عقيدتنا العسكرية . بل وفي جهودنا الدبلوماسية فنحن لا نعرف ماذا نريد ولم نتمكن بعد من تحديد الدبلوماسية التي تحقق لنا مصالحنا .

هذا الاضطراب سيجعل من الصعب تقييد اي حرب عند نشوبها . وقد ندفع ثمن هذا الاضطراب اذ ربما يترجم العدو تحركاتنا في فترة ما ترجمة خاطئة ويقوم بضربة وقائية للرد على اجراءات لا نقصد منها الا التهديد بحرب محدودة . والعقاب الذي نستحقه نتيجة لربط مؤسسة عسكرية ذرية بدبلوماسية تسعى الى تقييد الاسلحة الذرية بل نزعها سيجعل العدو يسعى الى ان يقلل من عزمنا على المقاومة بالسلاح الذري الذي نملكه . وهنا يفقد الردع قيمته .

التعليق والتقييم

لعلنا نكون قد لاحظنا طبيعة المناخ الذي خرج علينا هنري كيسنجر من خلاله بأفكاره التي استعرضناها فهو مناخ كانت غالبيته تقدر مدى الكارثة التي اصبحت تهدد البشرية اذا ما استخدمت القوة النووية في اي صدام بين الدولتين الاعظم .

ولعلنا لاحظنا ايضا ان الهدف المشترك لكل من كتبوا في هذا الموضوع الخطير كان الحيلولة دون وقوع مثل هذه الكارثة : البعض كان يرى تحقيق ذلك عن طريق التفوق المستمر في القوة الذرية والبعض الاخر كان يرى تحقيقه عن طريق تحديد استخدام هذه القوة وتجنب استخدامها استخداما شاملا او منع استخدامها على الاطلاق .

اذن فالقول بأن كيسنجر كان صاحب فكرة تحديد استخدام الاسلحة الذرية في حرب محدودة امر بعيد عن الواقع . ووصولنا الى هذه الحقيقة يجعلنا نقول دون تردد اننا كنا على حق حينما استعرضنا المناقشات التي دارت بخصوص هذا الصراع والا لظلت هذه الحقيقة غامضة . كما لاحظنا في كثير من المراجع التي رجعنا اليها .

وكيسنجر والحالة هذه هو احد المنادين باتجاه تقييد الحرب وهو بهذا ليس صانع هذه المدرسة . ربما اختلف مع غيره في الاسباب التي دعته الى ان يأخذ بهذا الاتجاه وربما اختلف في الاسلوب . ولكن يعني شيئا واحدا بارزا هو انه كان واحدا من اصحاب هذه المدرسة التي اخذت تتسع في ذلك الوقت وتجذب اليها كثيرا من المفكرين والمحللين .

ولكن كان اهم ما أثاره كيسنجر في راينا ـ هو مناداته بالاهتمام بالاسلحة التقليدية في وقت كان الاهتمام مركزا على تطوير الاسلحة الذرية كما ونوعا . ونؤيد وجهة نظرنا تلك بسببين :

١ ـ كان اهتمام الدولتين الاعظم مركزا في ذلك الوقت على اهمية القوة النووية ومعالجة المشاكل الناجمة عن استخدامها. وقد وصل امر استخدام القوة الذرية في لعبة الصراع الدولي الى طريق مسدود بينما استمرت الحرب التقليدية اداة صالحة للممارسة في كل بقعة من العالم . ويصبح التفوق في الاسلحة التقليدية اذن مرادفا للتفوق الدبلوماسي . فكون هنري كيسنجر يأخذ هذا المنعطف الخطير فيه عمق في التفكير واستقراء نابه لطبيعة الصراع الذي يحدث من حوله وقد لاقت هذه النظرة تأيدها الكامل لدى دوائر البنتاجون واخذت طريقها الى التنفيذ . ولعل هذا هو السر في تفوق الولايات المتحدة على الاتحاد

السوفييتي فيمجال الاسلحة التقليدية. اذ بينما استشعر هنري كيسنجر بوجود ما اسماه بفجوة الصواريخ كان يريد ان يخلق ما يمكن ان نسميه بفجوة الاسلحة التقليدية . والاولى فجوة في مجال اسلحة لا يمكن استخدامها لقوتها التدميرية الماحقة . اما الثانية فهي في مجال اسلحة يمكن استخدامها لقوتها التدميرية المحتملة والتي اعتاد عليها العالم في حروب سابقة .

٢ ـ نقل مجال التسابق في التسليح من المجال الذري الى المجال التقليدي كوسيلة من وسائل الحد من الرعب النووي الذي يهدد البشرية بالفناء .

وعلى نفس المستوى من الاهمية يبرز اتجاه آخر لهنري كيسنجر حينما يتحدث عن « الردع » . ففي راينا انه يهدف الى تفادي المواجهة المباشرة كلية بين الدولتين الاعظم سواء كانت الحرب ذرية او تقليدية : فهو يعارض « الردع الشامل » الذي كان ينادي به ايزنهاور ودالاس ثم يدعو الى « الردع المرن » و « الردع المحدود » ثم يعود الى الحديث عن « الحروب التقليدية المحدودة » و « فترات التقاط الانفاس » لاعادة الحسابات .

فهو لا يود ابدا صداما مباشرا بين الدولتين الاعظم سواء كان هذا الصدام نوويا او تقليديا. وهذا هو العمود الفقري لنظريته في الردع مهما حاول ان يتستر على هذا الغرض « بالحروب الذرية التكتيكية » او « القوة الرادعة » او اي تعبير آخر من سبل التعبيرات الرنانة التي يحلو للدكتور كيسنجر ان يغرق فيها قارئه.

ويتهم بعض الكتاب (٣٣) بأنه مستعد في سبيل ذلك ان يقدم تنازلات لا حدود لها لا بدافع انساني ولكن بدافع عقائدي ويؤيدون ظنونهم تلك بابراز علاقته مع بعض الجماعات التي تدين بمبدأ العالمية حتى ولو كان ذلك على حساب مبدأ القومية مثل علاقته بمركز العلاقات الخارجية (٣٤) وكذا علاقته بجماعة « البجواش » .

وعلىاي حال فان آراء كيسنجر بخصوص الردع يمكن تلخيصها في الاتي :

(٣٣) مثل فيليس شلافلاي وشيستر وورد في كتابهما « كيسنجر على الكرسي » .

(٣٤) تتكون جماعة « البجواش » من عدد من العلماء الامريكيين والسوفييت غرضها بحث التاثير المدمر للاسلحة النووية وكيفية تجنبها وكان المنظم الاول لها هو الفيلسوف البريطاني برتراند راسل الذي اتخذ لها شعارا « ان تكون احمر افضل من ان تكون ميتا » وعقد اول مؤتمر للبجواش عام ١٩٥٧ تحت اشراف سيروس ايتون في بلدته « بجواش » بالولايات المتحدة الامريكية . وعقدت المنظمة اكثر من عشرين اجتماعا منذ انشائها تمت معظمها خارج الولايات المتحدة . ويشك البعض في ان العلماء الشيوعيين عن طريق هذه المنظمة يمكنهم ان يوجهوا العلماء الامريكيين الى افكار تؤثر على اتجاهات الامن القومي للولايات المتحدة .

١ ـ ان الردع الناجح هو الذي لا يمنع التصادم النووي بين الدولتين الاعظم فحسب بل يتعدى ذلك الى منع التصادم التقليدي بينهما . والردع الشامل اجراء غير واقعي. ولذلك فان الردع المرن او المتدرج هو الذي يحقق الاستقرار النووي.

٢ ـ ان الحروب المحدودة التقليدية في الساحات الاخرى من العالم امر مسموح به ويمكن تصعيده الى المستوى الذري المحدود في حالة تغلب القوة البشرية على الكفاءة التكنولوجية (٣٥) .

٣ ـ تتسم الحروب المحدودة بصفتين :

آ ـ بطء الحركة مما يساعد على التحكم في مراحل الحرب وهذا يتناقض مع السرعة الطبيعية للاسلحة .

ب ـ عدم الاستمرار ـ بمعنى ان تكون الحرب لمدد محدودة متعاقبة يفصل بينها فترات تستغل للتفاوض ولممارسة الدبلوماسية واجراء الحسابات « واذا لم يقم العدو باعادة حساباته بشكل معقول فالجولة القادمة سوف توجه له ضربة اقسى تبعا لمبدا التدرج في استخدام القوة. اذ من الواجب مقابلة مستويات قوات العدو بمستويات تعادلها او تتجاوزها وفي حالة تعادل القوات التقليدية فلن يميل ميزان القوى الا باستخدام الاسلحة الذرية المحدودة (٣٦) » . اي ان سرعة الاحداث السياسية يجب ان تتناسب تناسبا عكسيا مع سرعة الاسلحة التي عليها خلق المواقف السياسية المناسبة لممارسة الدبلوماسية .

والان ما هو تقييمنا لهذه الافكار في مجال الصراع الدولي ؟

ابرز كثير من الكتاب تساؤلات عديدة وهم يقيمون هذه الافكار فمثلا : لماذا يقيد الاتحاد السوفييتي نفسه بحرب محدودة يعلم سلفا انه سيخسرها ؟ كيف يمكن في موقف متصاعد الى درجة التهديد بحرب شاملة ان يقتنع احد الاطراف بعدم حدوث ذلك؟ كيف يمكن للدبلوماسية حسم المشاكل ذات الابعاد الاستراتيجية وكيسنجر نفسه هو القائل « ان اعتماد الولايات المتحدة في دبلوماسيتها التقليدية على حسن النوايا وعلى الرغبة في الوصول الى حل يعتبر عديم الجدوى خاصة اذا

---

(٣٥) يقصد التفوق البشري للصين الشعبية .

(٣٦) تتبع اسرائيل هذه الاستراتيجية فجهودها المستميتة الناجحة للحصول على الاسلحة النووية هي لمواجهة التفوق البشري للبلاد العربية .. وقد ذكرت مصادر كثيرة ان جولدا مايير ـ رئيسة وزراء اسرائيل في حرب اكتوبر ١٩٧٣ ـ امرت باعداد القنابل الذرية التي بحوزة الجيش للاستخدام لمواجهة الانهيار الذي حدث في الايام الاولى من الحرب .

استخدمت هذه السياسة مع دولة تهدف الى ازالة النظام العالمي وتقويضه» (٣٧)؟

بل ذهب البعض الى ان كيسنجر وهو يتحدث بهذه الافكار كان يعيش مع ميترنيخ في زدهات مؤتمر فيينا الفاخرة غير عابىء بفاصل الزمن ولا بالقوة التدميرية الخطيرة التي حدثت نتيجة للقوة النووية والا ما كان يقرر انه « في بحثنا لمفادة نكبات الحرب الشاملة ببديل لها .. وفي بحثنا عن وسيلة محدودة يمتزج فيها الحسم بالاعتدال يمكن للدبلوماسية ان تمثل مرة اخرى علاقة القوة حتى في العصر النووي « والا كان ينحو نفس اتجاه ميترنيخ حينما كان يعتقد في امكانية ردع التصادم عن طريق التهديد باستخدام القوة ومزج هذا التهديد بالمفاوضة .

وعلى اي حال فبعد مرور قرابة عشرين عاما على هذه الافكار نجد انها تتطابق تماما مع ما يجري في عملية ادارة الصراع العالمي على سطح كوكبنا الذي نعيش فيه.

فالحروب الذرية لم تقع سواء كان ذلك عن طريق « الردع الشامل » او « عن طريق الردع المتدرج او المرن » . هذه حقيقة لا شك فيها . وهذا في حد ذاته عمل ايجابي ينال تشجيع كافة الاطراف .

واذا كان « الاستقرار النووي » هو القاعدة السائدة حاليا في الصراع العالمي فاننا نعتقد ان هذا سوف يستمر الى فترات طويلة قادمة خاصة وان المحاولات ما زالت تبذل للحد من الاسلحة الاستراتيجية بين الدولتين الاعظم .

ولكن « الحروب المحلية التقليدية » تدور كل يوم وفي انحاء متفرقة من العالم كوسيلة لايجاد متنفس لمنع « الانتحار الكبير » وتدار هذه الحروب التقليدية تحت مظلة ذرية تمنع التصعيد وتحد من خطر حدوثه .

والحالة التي يعيشها العالم اليوم في ظل هذه الحروب المقيدة التي تجري هنا وهناك هي في راينا حالة السلام الذي اصبح على العالم ان يعيش فيه . فالسلام الشامل الذي لا يعكر صفوه اي نوع من انواع التصادم اصبح مجرد وهم من الاوهام .

واصبح السلام العالمي في ظل القوة النووية يعني منع استخدام الاسلحة النووية في اي تصادم وان كان يعني في الوقت نفسه حدوث حروب تقليدية محدودة في المناطق المختلفة من العالم . وتدور هذه الحروب ـ على الاقل في جانب كبير منها ـ بالوكالة اذ تتصارع فيها ارادة الدولتين الاعظم الى جانب الارادات المحلية .

---

(٣٧) كيسنجر ـ استخدامات القوة ـ تاليف دافيد لاندو .

هذه هي صورة السلام العالمي الذي امكن للردع ان يحققه حتى يومنا هذا .

وفي الوقت الذي ينتظر انتستمر كلا الدولتين الاعظم بالحصول على اسلحة ذات قوة تدميرية اكبر فان الفيصل لاجيال قادمة سوف يكون للاسلحة التقليدية، الامر الذي يجعلنا نؤكد ان العقل البشري سوف يضيف الى الترسانات الحربية آلات ومعدات جديدة لم يعرفها من قبل خاصة في استخدام الاشعاعات مثل « اشعة ليزر » او « الاشعة تحت الحمراء » او « الاشعة فوق الحمراء » ، اللهم الا اذا امكن للعقل البشري ان يخترع اسلحة ذرية نظيفة . وهنا سوف ننقل هذه الاسلحة الى مستوى اسلحة التدمير الاخرى لانها فقدت سر بشاعتها ورهبتها .

وتجري المحاولات فيانحاء العالم لدخول اعضاء جدد في النادي الذري وهنا يفقد الردع قيمته على الصعيد المحلي اذا اصبح في حوزة دولة من دول اي منطقة قوة نووية تهدد بها الاخرين . وهنا ما لم يحدث « ردع مضاد » من الدولتين الاعظم فان خطر انتشار حرب ذرية عالمية لا يمكن اسقاطه من الحسبان .

وهذا نوع جديد من الردع وهو الردع عن طريق طرف ثالث ولكن لا بد لهذا الردع ان يتم في صورة ردع مشترك بين الدولتين الاعظم ، والا ادى الى التصادم الذري بينهما . ومعنى ذلك ان حالة الاستقرار النووي بين الدولتين الاعظم قد تتهدد نتيجة لاستخدام دولة ثالثة لاسلحة نووية في حالة اليأس مثلا او سوء الحساب . وما لم يتم ردع مثل هذه المحاولات بجهد مشترك صادق من الدولتين الاعظم ، على ان يتم ذلك بصورة صلبة واضحة مسبقة يمكن ان يتهدد السلام العالمي بمفهومه الجديد بوقوع حرب ذرية بين الدولتين الاعظم .

والخطر هنا اصبح مشتركا . والخطر المشترك لا بد لمفاداته من اجراء مشترك . والاجراء المتبع هنا هو الردع المشترك والا يحدث ما يجري في الامثال « يفعلها الصغار ويتحمل نتيجتها الكبار » .